عبد الوهاب الأمين

الزاد المردود

مجموعة من القصص المنتقى

١٩٧٠

عبد الوهاب الأمين

الزاد المردود

مجموعة من القصص المستقى

شركة آسيا للطبع والنشر
(ذ. م. م)

١٩٧٠



مطبعة الشعب ــ بغداد

إهداء

إلى "ماما" ... التي كانت هي
منبع القصة الأولى في حياتي، صدقاً
ودفئاً. لعل الآن تكون هذه القصة
الحزينة من عنده عربوناً رقيقاً من
حلاوة تزيل مرارة الماضي

مقدمـــة

لماذا القصة ؟

سـؤال قد يسـأله الكثيرون ، وقد يرى بعضهم أن الافضل فى هذا العصر ان يقلع الانسان عن عقلية التهويم قبل النوم حيثيكون في حالة انصات لحكايات السعالي وعجائب الاقدار ، بعد ان اوشك البشر ان يصل الى القمر .

وقد يغرى الجهل بطبيعة الادب والفـن وبموقع القصة بالذات ، بالوقوع فى احبولة ذلك القول القائل بأن هناك جوابا واحدا لكل ذلك ، هو الجواب الذى يقطع الجدل بان الادب والفن بصورة عامة ، والقصـــة بصورة خاصة ، لم تعد تلائم روح العصر المنجرف نحو العلم ، وان الامعان فى مجافاة روح العصر غباء يرضي الانسان به جهله وغروره ، وقد يوقعه فى التخلف مع سبـق الاصرار .

وربما يصل الامر بالكثيرين منا الى حـد اليقين او قريبا منه ، وبخاصة فى هـــذه الايام التى تجلجل فيها أصوات المدافـــع وازير الطائرت ، بأن القول للقنبلة وليس للقصـــة ، وهو ما نـرى فيـه ـ فى بعض الاحيان ـ نذير سوء قد ينقلب اخيرا الـى السوء كله ، اذا لم يتداركه المنطق الصحيح والادراك الواسع .

انا من الذين لايكلون عن التأكيـد بانالادب والفن ((علامة)) الحياة ، شـانه هنا شان التنفس الذى يدل على وجود الحياة نفسها .فمن السخف ان يسأل الانسان ! ـ ما فائدة التنفس ؟ ـ بل الاولى ان يقال هل هناك ـ فائدة ـ فى اي شيءلو كـان السائل قد فقد الحياة وفقد التنفس ؟

ان الذين يشككون فى ـ فائدة ـ الادب والفن يعلنون مقدما انهم ليســوا هنا او هناك .. ولو كانوا على حظ صحيح مـن الادراك لكان يكفي ان يعنيهم ان يكون الادب والفن فى مستوى معين يترقى نحو الاعلـى لا أن يدوروا فى دوامة التساؤل عن قيمته وجدواه .

الفن والادب متخلفـــان عنـدنا لاننـــا متخلفون في بقية الاشياء،فهما ليسامسوولين كان ينبغى ان نكون فى المقدمة بـين البلدان الشرقية والعربية فى مضمار الادب لاكثر من سبب واحد . ولكننا تخلفنا فـى المضامير الاخرى .. فتخلف ادبنا وفنـنــا ايضا بالتبعية .

اما الذين يريدون ان يلوكوا الكلام ، وان يتظاهروا بالعنجهية فيضعوا لنا ادبا فـى المقدمة تطوعا منهم فحظهم فينظرى حظ ذلك الذى ياكل و ـ يمالى ـ نفسه كما جاء فى الامثال .

ان لبنان مثلا قد سبقتنا باكثر من جيل ادبي واحد لم يعد فى وسعنا ـ بدون طفرة لا ادرى كيف ستكون ـ ان نتجاوزه.وسوف ونظل نستجدى عصارة الفكر الوافـد الينا مادمنا نصبح ونمسي على ادب مجتر فقد كل عناصر الحياة والنمو .

قلت هذا من قبل ، واقوله اليوم ، ولعلي سأظل اكرره في المستقبل ايضا .

وهذا هو الذي دفعني الى نقل عيـــون القصص العالمي منذ عشرات السنين لكي تكون في متناول الذين لا يقرأون تلـــــك القصص بلغاتها الاصلية . وكل رجائي ان يقرأها ــ ايضا ــ اولئك الذين يكتبـــون القصص عندنا ، واغلبهم لا يدرون انهـــم في الغالب يكتبون مواعظ مكررة وافتتاحيات صحف دورية وهم يظنـــون أنهـــم يكتبـــون قصصا .

ولا اكتم القارىء ان هذه العلة مشاعة في البلدان العربية الاخرى ايضا ، ولكنها على اسوأها في العراق . فأعل مـا كتـب ونشر فيه من القصص في الفترة بين الحربين وما بعدها لا يرتفع كثيرا عن « سواليف » العجائز الا بمقدار ما ارتفعت به تلـــك « السواليف » نفسها عندما اقترب عمـــر اللواتي سمعتها ممن ولدن بين الحربين من الكبر فاصبحن هن انفسهن جدات عجائز !

وهذه ليست ــ مقدمة ــ بمقدار ما هـي اتهام او اعتراف بالنقص . وقد قيل أن الاعتراف بالخطأ ــ والنقص خطأ ــ فضيلة . فرجائي ان تسبق فضيلة رفع النقص فضيلة الاعتراف بالخطأ لمجرد الاعتراف . ولا اتوقع تسديدا بمقدار ما اتوقع التهديد . وقـــد سبق لي مثل ذلك في الماضي ، فلن يخيفني اليوم ذلك التهديد ان اتى بعد ان دلـــت الدلائل على اني لم اكن مخطئا ، وان الذين غضبوا لم يكونوا محقين .

عبد الوهاب الأمين

« با ـ شين » كاتب صيني معاصر بدأ حياته الادبية في سنة ١٩٢٧ ، وكانت كتبه ـ وبخاصة رواية العائلة ـ مقروءة من الشباب الصيني وذات تأثير كبير خلال الثورة .

و « با ـ شين » هو اسم القلم لـ « ليفي ـ كان » الذي ولد في شانجو ـ شيان سنة ١٩٠٤ . وقد كان ابوه قاضيا اول ، ودرس في صباه على يد مدرس خاص ، وما ان بلغ اشده حتى استمالته الافكار الاشتراكية التي سادت الصين حينذاك ، بخاصة الاشتراكية الطوبائية .

وفي سنة ١٩٢٠ دخل مدرسة اللغات الاجنبية ودرس الانكليزية واشتغل في الوقت نفسه محررا في عدد من المجلات الادبية ـ ثم ذهب الى شنغهاي في سنة ١٩٢٦ ومن بعدها سافر الى الخارج .

وحين كان في فرنسا انهى روايته « الهدم » في سنة ١٩٢٨ ثم عاد الى شنغهاي حيث انجز بعض اقسام روايته « الحب » المجزأة الى ثلاثة اجزاء هي « الضباب » و « المطر » و « البرق » وفي خريف سنة ١٩٣٣ اصبح عضوا في هيئة تحرير مجلة « الادب » وهي مجلة موسمية ، ثم سافر الى اليابان وعاد مرة اخرى الى شنغهاي ليعمل رئيسا لتحرير مجلة الحياة الثقافية .

وعندما اندلعت الحرب مع اليابان قام مع « ماو ـ تون » وغيره من الكتاب التقدميين بتحرير مجلات عديدة وانغمس في الشؤون الادبية وانهى روايته « الخريف » واخرى من المطولات هي « النار » ، وبعد انتهاء الحرب عاد مرة اخرى ليرأس تحرير مجلة ـ الحياة الثقافية ـ .

انتخب « با ـ شين » عضوا في المؤتمر الاستشاري السياسي الشعبي في سنة ١٩٤٩ ، وفي سنة ١٩٥١ كان عضوا في وفد السلام الى وارشو ، وفي سنة ١٩٥٤ انتخب نائبا لرئيس المؤتمر الاول لكونفرس الشعب القومي .

وهو اليوم نائب رئيس اتحاد الكتاب الصينيين ، ورئيس فرعه في شنغهاي .

اما قصته هذه فقد اعتبرت نموذجا للادب الصيني المعاصر ، وقد نشرتها مجلة « الحياة والادب واليوم » الانكليزية على هذا الاعتبار .

كاتب

للقاص الصيني « يا ـ شين »

لست اعلم ما هو اسمي ، ان كان لي فى الحقيقة أي اسم ولا عمري الصحيح .. لاني ـ كما هو ظاهر ـ قد جئت الى هذا العالم بطريق الصدفة .. اخذت من حيث لا اعلم ، ورميت مرة اخرى من دون تفكير كما يرمى احد المارة حصاة من مكان لاخر بلا غاية معلومة .

لست اعلم من هو أبي ولا من هي أمي . انا شيء مهجور ليس الا .. متروك .. منسي .. وقد وسمت بالبشرة الصفراء والشعر الاسود والعينين السوداوين والانف المفرطح ، والتركيب القصير ، تلك السمات التى تراها فى مئات الملايين من الاخرين الذين رماني القدر بينهم ـ بلا رحمة ـ لاعيش .

لقد مررت ، كما يمر كل واحد ، من عهد الطفولة ولكن طفولتى كانت لا مثيل لها من وجوه عدة ، فلم يمنحني احد عطفه ، ولم يؤوني او يوسع على اي احد . وابعد ذكرياتي فى القدم هي الجوع.. والبرد .. والحر . ومع ذلك فانني اذكر ـ وان كان هذا ليس بالذكر المضبوط لانني ضئيل التفكير فى الزمن ـ يوما من الايام وقف فيه امامي رجل معروق مغضن عجوز ، وهو يهز راسه ويقول :

ـ لقد كان ينبغى لك ـ وانت فى مثل سنك هذه ـ ان تكون فى المدرسة . ان المهم للانسان هو التعليم .

وقد قال ذلك بصوت خفيض شف عن حنان زائد ، وكان وجهه

يطفح بالخير ، فاثر فى نفسي نصحه ، وانشأت ـ وقد نسيت ما انا فيه من الم وبرد قارص ـ انشد التعليم فى جد .

كانت البنايات قائمة هنا وهناك بعضها ضخم كالقصور . وبعضها يقل روعة . فقال لي الناس ان الاخيرة هى التى تدعى بالمدارس حيث يجد الانسان التعليم ، فبقيت ادير فى ذهني ماقاله الرجل العجوز طيلة الوقت . ثم اندفعت فى النهاية الى الداخل من دون ان أنتظر الاذن بالدخول الى احدى تلك البنايات .

ـ أخرج ! .. ليس هذا محلا لك ! وكان هذا يتكرر فى كل مرة وفى كل مكان ادخله .

وجربت جميع البنايات من اضخمها الى اضألها فى البنيان ، ولكن بصرف النظر عن المحل الذى اذهب اليه ، وسواء لقيني وجه كالح او وجه رقيق ، فقد كانت هذه الكلمة التى تردد على سمعي فى كل مرة وفى كل حين :

ـ اخرج !

وكانت الكلمات تصيب وجهي كالسياط ، فاحني رأسي ، وقد اعتراني الخوف والذعر ، واجر قدمي محاولا التفكير ، بينما يرن فى اذني ضحك الصبية وتندرهم بي ، ثم اعود فاسائل نفسي اخيرا :

ـ ترى هل انا مخلوق بشري حقيقة ؟

وكانت شكوكي تتزايد كلما امعنت التفكير . وحاولت ان اضع هذا التساؤل جانبا لكى اتخلص من الاجابة عنه . ولكن كان يبدو لي طيلة الوقت ان هناك صوتا ساخرا فى اذني يسألنى على الدوام :

ـ هل من الممكن حقا ان تنتمي انت الى الجنس البشرى ؟

والتجأت فى الاخير ـ وانا وحيد .. ذليل .. بائس .. قد تجاهل العالم وجوده ذاته ـ الى المعبد المتهدم آوي اليه اخر الليل ، وقد صح عزمي على ان انشد الايضاح من « الاله » الذى كان هناك ، وانا اقول لنفسي « ان الاله » رحيم ، عليم ، بكل شيء .. وسوف يحل لي هذه المشكلة .

وكانت الستارة التى سبق أن علقت عليه قد ازيحت . وبدا الشبح جالسا وحده .. عاريا .. نتنا .. قد غطاه الغبار .. وله ذراع واحدة فركعت امامه وابتهلت اليه قائلا :

– ايها الرب ذو القوة .. ساعدني على الادراك لكي اجد الحل لهذا اللعز : هل انا مخلوق بشري ؟

فصمت ولم يحرك راسه . ولم تبد على عينيه بادرة .

ترى هل يكون ممكنا لمثلي ان يدعى أية قرابة من الاناس الاخرين الذين يختلفون عني اختلافا واضحا ؟

لقد حرمت الدفء والراحة والعطف البشرى وكلها مزايا البشر.. حرمتها كلها ، وانا اعيش على النفايات ، تلك الفضلات التى لا يستطيع الاناس الحقيقيون ان يأكلوها ، فيرمونها .. ان من الاهانة للبشرية ان اعد جزءا منها .

اذن فمن المحقق انني لست من عالم البشر .. ولكن ..

اذا لم اكن بشرا فلا بد لي ان يكون وجودي على هذه الارض لغاية ما .

ربما كان هناك نفع من جسدي . كل شيء يباع ويشرى . فلماذا لا اباع انا ايضا ؟

وضعت على ظهري شارة البيع وذهبت الى السوق لكي اعرض نفسي . ووقفت فى بادىء الامر فى محل واحد ، ثم انتقلت الى محل اخر . وعرضت جميع جوانب رأسي وجسمي داعيا المشترين للمساومة . ولو ان احدا اشتراني حقا واطعمني من فضلاته لاخلصت له كما يخلص الكلب لسيده .

وانتظرت هناك فى السوق طيلة النهار متنقلا من زاوية لاخرى ، ولكن احدا لم يتقدم الي بعرض . وفى كل موضع ذهبت اليه كان الناس ينظرون الي نظرة ساخرة وحسب . ولم ينتبه الي حق الانتباه الا المتندرون على شارة البيع التى الصقتها على ظهري ، فزحفت عائدا الى المعبد جائعا متعبا لالتقط قطعة من الخبز اليابس الاسود

الصلب الذى غطاه الغبار ، وازدردتها من غير تردد • ودار فى خلدي انني اذا كنت أستطيع اكل مثل هذه النفايات فينبغي ان تكون عندي معدة كلب •

كان دار « الاله » فى غاية الهدوء • ولم يكن هناك احد سواي • فاضطجعت فى ثقل وقد اقرفني الخذلان البالغ فى هذا العالم

لقد اتضح لي انني – كيفما كنت ومهما كنت – شيء لانفع فيه لاحد • وبكيت فى مرارة • ولكن حتى الدموع – وان كانت منحة ثمينة – لم تأتنى بالغوث • وانطلقت ابكى لانه لم يعد لي ما افعل غير البكاء • ولم ابك فى المعبد فحسب ، بل ذهبت خارجه امام دور الاغنياء •

وامام باب الدار الكبيرة اخفيت نفسي وقد اضناني الجوع وكدت أجمد من البرد ، وأنطلقت أبكي وابتلع دموعي فى مرارة ، ثم علا صوتي بالبكاء لاني كنت أريد أن أنسي الام معدتي • ومر بي شاب فى ثياب اجنبية ليدخل الدار فلم يلحظني ، ثم اتبعه رجل كهل ولكنه هو الاخر ، لم يرني • وعلى طول الشارع كان الناس يغدون ويروحون ولكن احدا منهم لم يرم الي ببصره قط •

هل انا موجود حقا ؟

واخيرا خرج رجل مخيف رآني فاقترب مني ، ومن غير سؤال او جواب شرع يلعنني ويصيح :

اذهب •• ليس هذا محلا لبكائك ! واخذ يركلني كما يركل الكلب • فنضب معين الدموع من عيني ، ولملمت فى الاخير اطرافى وعدت متثاقلا الى المعبد• وهناك ركعت امام « الاله » ذلك الشبح•• صديقى الوحيد •• وعدت كرة اخرى الى الابتهال اليه :

– ايها الرب ذو القوة • اني وان لم أكن – كما هو واضح – انسانا ، فان القدر قد رماني هنا • وعلى ان أعيش فى هذا العالم • اني لا اعرف من هو ابي ولا من هي امي • وانا فى حاجة الى احد •• فاجعلني ابنا لك •

ايها الرب العادل الكريم خذني ابنا لك • اني لا أمت الى الجنس البشرى بنسب • ولن أعرف حب الانســان !

ولم يفتح الرب فمه • لم يرفضني •

اذن •• فقد صار لي اخيرا أب •• هو ذلك الشبح المقطـوع الذراع •• العادل الكريـم !

***

كان على ان اذهب كل يوم لاستجدى شيئاً اكله • وعندما اكتفى اعود مسرعا الى المعبد بلذة جديدة ، فقد انضويت فى الاخير الـى اب •• هو ذلك « الاله » فى المعبد •

لقد كان حقا انه لم يفتح فمه بكلمة عطف تريحني ، ولكنـه كان هناك دوماء لقد كان هو « الشخص » الوحيد الذى لم يرفضني •

ومضى الزمن مسـرعا على طيتـه وكبرت • وكنت على تمام اليقين بانني لست من البشر • واقنعت نفسي مرارا أن ذلك هـو السبب فى وجودى الغريب • غير اني مع ذلك كنت احسس بـين اونة واخرى باحاسيس بشرية تتمشى فى كيانى• فلم اكن اسـتطيع أن امنع نفسي عن التلهف الى الطعام الجيد واللباس النظيف ، والفراش الدافيء الوثير فى دار جميلة • ولكنى كنت اعود الى نفسى محدثا ايـاهـا !

— ان هذه الطيبات هى من حق الانسان ، فكيف تتجرأين على ممارسة مثل هذا الحـق ؟

ومع ذلك فقد بقيت افكر فى المتاع الحسن الذى أشـاهده معروضا فى الاسواق • بل حتى فى النساء الجميلات اللواتى كـن يغرينني بابتساماتهن اللطيفة الخلابة وسيقانهن البيضاوات النواعم • فهل تستطيع ان تتخيل شيئا كهذا ؟ شيئا حقيرا مثلي يريد ان يلمسهن او يحتضنهـن ؟

كنت أضرب صفحا عن أمثال هذه الرغبات الجامحة بعد أن يعود الى رشدي شيئا فشيئا فاذكر انني شيء لا اصل له •

غير اني في يوم من الايام رأيت وأنا امشي الى جانب امرأة ذات ساقين كانتا غاية في الجمال والنعومة ، كلبا أبيض .. فخطر لي اذ ذاك أن أحدث نفسي :

ـ انظر يا هذا .. ليست هذه الميزات كلها للانسان وحده .. فنحن الكلاب لنا حقوقنا أيضـا !

وعرتني موجـة مفاجئة من الشجاعة واندفعت احتضن تينك الساقين .. ولم يرعنى الا أن شخصا ينقض علي ويركلني ويدوسني بقدميه .. وهو يقول :

ـ هل أنت مجنون ؟

عدت بعدها الى المعبد وأنا أحمل في نفسي حزنا اعمق . فقد اتضح انني احط من كلب . واخذت ابتهل الى الآلـه مصليا :

ـ يا ابتي .. ايها الآله الرب .. اجعلني كلبا حقيقيا .. كلبـا أبيض كذلك الكلب الذي رأيته ، لكي احظى بحب الانسان !

***

بشرة صفراء ، وشعر أسود ، وانف مفرطح ، وقامة قصيرة .. هذه ملامحي التى اشترك فيها مع كثير من المخلوقات ولكـن هناك مخلوقات اخرى في هذا العالم ذات بشرة بيضاء ، وشعر أشقر وأنف مستقيم ، وقامة طويلـة .

لقد رأيت أن هوءلاء الناس يمشـون في الشوارع وهم يغنون ويتصايحون متضاحكين كأن أحدا سواهم لم يخلق . ولم يكن أحد ليجرأ على الدنو منهم .

لقد كان ذلك بالنسبة لى اكتشافا . فقد اتضح لي أن البشـر طبقات . وان هوءلاء الذين كنت أراهم الاعلون لهم من هم أعلـى منهم وارفع . واعتدت ان ارى كثيرا من ذوي الميزات الخاصة بينهم الذيـن يرتدون القبعات البيضاء المستديرة ، والثيـاب البيضاء [1] المنمقة الاطراف والسراويل البيضاء . وهم كثيرو الضحك والمرح ،

---

١ ـ البحارة الاجانـب .

كانوا فى بعض الاحيان يختصمون ويضـــرون ذوى البشرة الصفـــراء بالقناني والزجاجات على روءوسهم حتى تنكسر ، ويقبلون النســـاء ، ويركبون « الركشا » (1) وفى احضانهن النساء العاريات السيقان .

وقد بدا لي أن الجميع كانوا يحترمون هوءلاء النـــاس احتراما زائدا ، فيوسعون لهم فى الطرقات لانهم أنبـــل المخلوقات . وكنـــت اتحاشى أن اقترب منهم ، فليس مـــن شك فى ان اقترابى منهم يعـــد جريمة . غير اني فى أحد الامسية كنت انفض الوحل والتراب عـــن قدمي الملوثين ، جائعا متعبا كالعادة، اذ شعرت بشيء غريب قريبا مني. فلما أمعنت النظر وجدت ثلة من نبلاء الطبقات البشرية ولكن ذلك كان متأخرا فلم اســـتطع الفرار بل بقيت أنتظر ما اخبأه لي القـــدر ببلاهة فأخذوا يصيحون بي :

ـــ أيهـــا الكلب !

كلب ؟ وليس، وليس أقل من كلب ؟

حمدت الله أبي بعد عودتي تلك الليلة الى المعبد على أن اولئك القوم المردة لم يكونوا يرونني أقل من كلب ! وقد نفث ذلك في روحا جديدة من الامل فى نفسى .. فان ذلك يوءهلنى أن استمتع علـــى الاقل بحقوق الكلاب .

وعدت الى التفكير مرة أخرى بذلك الحيوان الصغير الذي كان يركض الى جانب سيدته الجميلة .

وفى أول مرة ـــ بعد هذا ـــ رأيت فيها ساقين جذابتين تتهاديان فى عـــرض الشارع ، طربـــت وفرحت ، ودار فى ذهنـــي أن هوءلاء الرجال البيض كانوا يعدونني كلبا !

أسرعت فى الحال الى استعمال حقي فاحتضنت ذينك الســـاقين ونسيت كل ما عداهما . فلم أشعر الا بالايدي تنهال علي من مختلف الجهات . ولكني لم أكن لارى أو اسمع شيئا غيـــر ما كنت احتضنه من ساقين لماعتين .

---

1 ـــ « الركشا » عربة صغيرة ذات عجلتين يجرها انسان .

وعندما فتحت عيني مرة آخرى رأيتني مضطجعا فى غرفة باردة ليس فيها صوت بشرى . وكان جسمى كله يوءلمنـــي ، ولا أستطيع التنفس الا باقصى الصعوبة .

اما « الآله » .. ذلك الرب العادل الكريم ، فانه ما زال جالسا صامتا يعلوه الغبار فى صومعته .

ولكني لن أعود الى عبادته بعد الآن ..

لن أعود الى عبادة ذلك « الآله » المقطوع الذراع !

« ملتهود » من اساطين القصة الصغيرة في الادب الانكليزي في نهاية القرن الماضي . وقد عد « سومرست موم » قصته هذه نموذجا للقصة الانكليزية القصيرة في كتابه المعروف « مقدمة للادبين الانكليزي والامريكي » تمثل ذلك العهد من ادوار تطور القصة القصيرة .

اخوة

للكاتب الانكليزي   هـ.ا. مانهـود

بقي ساهما يحدق لمدة دقيقة كاملة فى لوحة الاسم المكتوب على باب « روزماري كونج » وهو يحك راحة يده متشككا ، وقـد زم شفتيه الغليظتين ،يقرأ الكلمات المدحرجة التي تقول :

ـ تقدم الشاي والمياه المعدنية

وبعد أن تطرح بنظره فوق الحاجز المصنوع من النباتات ، ونقر بيده على جيبه الداخلي كأنه يريد أن يتأكد من امر ما ، دخل الحديقة واغلق بابها خلفه فى عناية بالغة وقد علت وجهه حمرة الخجل وهـو يجتاز الحاجز البعيد عن المكان الذي كنت فيه •

جلس فى حذر شديد كحذر الانسان الذي يجتاز حاجزا لاول مرة فى حياته • ورفع القبعة الخفيفة لينشف وجهـه بمنديل ازرق الحواشى • ووضع رجلا على رجل ثم رفعها فجأة كمن يرى في ذلك انه الافضل لكي يكون مستعدا للهرب اذا مـا اتهمه أحد بالوغول • وكان عليه مظهر تلك الارانب التى تربى للتسمين فى المعارض مـن شدة الحساسية •• او ان شئت •• فئران الموانىء فى « أركاديا »

وظل يحدق فى قدمي كأنه يدرسهما باستمتاع لمدة طويلة مرهقة مقارنا بينهما وبين قدميه حتى اتخذ قرارا فى تردد بانني لـن اؤذيـه فرفع الى الاعلى حافة بنطلونه ليكشف عن قطعتي لحم شاحبتين تحت جواربه ، واتكأ مستريحا وهو يزفر مرتين زفرة الخلاص •

وكان وجهه وسلوكه يوحيان بانه قد انفق من عمره قرابة ثلاثين عاما لم يكن بينها الا القليل من الزهور المتباعد وكان متين البنـاء ولكنه غريب الشحوب كانه نشأ فى الظلام • وقد بدا وكانـه لبـس

ثيابه فى الظلام أيضا ، فقد كانت بقع دهان المخزن واضحة على بدلتـه ـ الجاهزة ـ وأزاحت عقدة رباط العنق حتى أصبحت تشبه عصـا معوجة انخرطت فى صدريته ، وكان حذاؤه الطويل جديدا ذا نعليـن معوجين لا يريحان عين الناظر ، وقد زركشت اذنـاه الصغيرتـان البارزتان بشعر يشبه الحشيش الميت حول نبات الفطر فى حين بدا فمه وكأنه فطس بضربة وحشية فى وقت كان لا يزال فيه لينا ، فقـد كـان يشكل مركز الوسط لميزان كانت عيناه الواسعتان الغائمتان تمثلان كفتيه، غير ان التوازن بينهما ليس تماما فان الكفة اليسرى منخفضة قليلا عـن الكفة اليمنى .

ولعل يديه هما العضوان الطريفان فى تكوينه الجسدي ، فتمثل بهما قانون التعويض الطبيعي ، فقد كانتـا بديعتي الشـكل ولكنهما مهملتان بشكل محزن ، وكان ما عليهما من ندوب ودواحيس يدل ، على أنه أستعملهما فى الصخور بلا أدوات . وكانتا شديدتي الحساسـية والنشاط بشكل يفوق الحد الطبيعي ، يتصارعان فى بعض الاحيان أو يستكشفان وجها من الوجوه ، ولكنهما فى الاغلب يرفرفان كرفرفـة جناح طائر ـ الصفنج ـ المغرد المحبوس فى قفص مدلى مـن القوس المشبك فوق المصطبة . وكان يبدو كأنه يعبر بيديه عن جميع أحاسيسه التى لم يكن يستطيع أن يضعها فى كلمات .

ولم يلحظ الطير فى البداية . ولكن سقوط قشور الحب فى الاخير جلب أتنباهه الى القفص البارد اللامع ، وقد وضع فيه الطائر الرمل وهو يزفر بعناء ويخفق بجناحيه بشـكل ضعيف كأنه يريد منهما أن يستدركا مهمتهما ، ولعله قد أتعبته أحلام الماضي عندما كان يطـير بين خضرة الارض وزرقة السماء المتوازيتين ـ فى لحظات نيسان عندما يستكمل شاعريته ، فزقزق صاحبنا ، ولنسمه ، الصـدفة ، فليس أسم أخر ينطبق على هذا الافاق خيرا منه ـ بشكل غير موسيقي ولكن بنية طيبـة .

والتفت اليه الطير بعينيه المحطمتين اللتين تشبهان الخرز واطلق

صوتا وحدا معتما ، فآلمه ذلك قلبيا ، وصعد على المصطبـة يحدق فى القفص تحديق طبيب وقور ، وهو يزيح قطعة صغيرة من عظم مشتبك فى أعمدة القفص كأنه يظنها هي السبب فى حزن الطير • وزاد عمـق التجعيدة التى تشبه مغيب الشمس على عينه اليمنى عندما فهم وأدرك الحقيقة ، فابتلع خديه وأطلق أصواتا خادعة وهو يهمس بالفاظ الترحيب ولكن الطير لم يكن لديه ما يجعله يربط بين الحنان والصوت الادمي ، فكان جوابه الوحيد أن خفق بجناحيه بيأس ، وبعد أن أدركه الانهاك ركن مرة اخرى الى الرمل الفاسد وقلبه يخفق ببطء •

ولعل صاحبنا كان يفكر نفس التفكير فأن شعوره الذاتي بنفسه قد اطلق العنان لاهتمام مرح ، فنط عن المصطبة يبحث فى الحشائش والزهور ليجمع طاقة من الالياف زين بها القفص وهو يدعو الطائـر الى الاحتفاء بذلك كأنه يقول له بمرح ــ تعال يا طيري فأن الغداء معد ولكن الطائـر أخذ ينط على رجل واحدة ، وينقر بعمى وقد أحـس بالحشيش ــ فوقع عليه وصاحبنا ينظر بحماسة متخدرة •

كان لا يزال ينظر الى الطائر عندما جاءت ــ السيدة بلسكوت ــ من الممر لتسـأله عن طلباته ، فلما أحس بخطواتهـا الثقيلة اعتدل فى جلسته مسـرعا ، فوقفت أمامه وهي تجفف يديهـا المحمرتين وكأنهما أسفنجتان بمئزرها ، فطلب شايا ، ــ مع قليل من الكعك ــ وقد بدا عليه أنه يشكرها لروحها الطيبة ، وبعد أن ظل يرقبها وهي تذهب بعيدا عنه عاد مرة أخرى الى دراسة الطير ، ونزل مرة اخرى الى مقعده عندما عادت هي تحمل أنية كبيرة وأخذت توزع بحذق واثق من نفسه عدة الصيني على مائدة حديديةصغيرة ، وصاحبناينظر اليها جانبياوهو يحك راحة يده ، وغامر بسؤالها وهو يبتسم للشـاي •

ــ أرجو العفو أيتها السيدة •• ولكن هذا الطائر بديع جدا •• طائـرك هذا فى القفص •

ومر بابهامـه على كتفـه •

واعتدلت السيدة ــ بلسكوت ــ ومرت بيديها على ردفيها وهي

تقـــول أ ـ

ـ أنك على حق أيها السيد أنه ليس بالطير الرديء قط أنه طائر ـ الصفنج ـ المغرد كما تعلم .. وهو يكتئب اليوم قليلا ـ هـذه الطيور يصيبها ذلك كمـا تعلم .

وأخذت تصفر بحدة كأنها تدعو كلبا ، ولكن الطائر لم يجبهـا قط ، فقـالت : ـ

ـ أنه سيصبح على خير ما يرام غدا بكل تأكيد .. أنه طائري المفضل .. طائر ـ الصفنج ـ كما تعلم .

فهز صاحبنا رأسه بشدة يؤكد ما قالتـه وأردف :

ـ يبدو أنه ضعيفه النظر .. اليس كذلك ؟

وعقب على ذلك بقولـه مبررا :

ـ لعل الحر سـبب ذلـك .

فأجابتـه السـيدة ـ بلسكوت ـ

ـ بعدا للشر ! كلا .. ليس الحـر السـبب فى ذلك .

وبصوت مفرقع أنزلت القفص وأخذت تهزه وهي تحاول بذلـك أن تحمل الطـير على الغنـاء .

ـ أنظر الآن ! انه اعمى . هذا هو السبب . انهم يعمون طيور ـ الصفنج ـ دائما كما تعلم ـ فذلك ـ يجعلها تغرد بشكل حسـن كثيرا ، ما عليك الا أن تفقأ عيونها بابرة محمية كما لو كنت تغرزها فى زبيبة .. أنها لاتشـعر بذلك قط كما تعلم .. وسـيجعلك ذلك تستغرب النتيجة وما تصنعه من فرق عظيم .

ـ لا تشـعر بذلـك !

قالها صاحبنا وقد بلغ به العجب أقصاه كما لو ذابت أسـنانه . وأزدحمت الكلمات فى فمه ، وضرب بيده على قبعته الخفيفة وقد بدا عليه القرف . وأدخلت السيدة ـ بلسكوت ـ أصبعها فى القفص وجفل هو كما جفل الطائر . وأدخل يده بتسكع فى جيب صدريتـه وأخرج قطعة نقود غطست فى الراحة الحمراء كانها تغطس فى بطن ـ سـمك

البحر ـ وتركته ساهما بغباء وهو يقول :

ـ يا لـه من مسـكين صغير !

وبيد مرتعشة صب لنفسه قدح شاي واضاف اليه الحليب والسكر وهو يتحرك بقوة ، ولكنه لم يشربه . وظل الشاى حتى برد فدفع بـه بعيدا عنه ، وأخذ يشخبط بقطعة من السكر الوردي على رأس الطاولة وقد بدا عليه أنه متردد بين أمريـن .

ثم دفعه مجيء السيدة ـ بلسكوت ـ عائدة من الممر الى أتخاذ قراره وقالت السيدة ـ بلسكوت ـ وهي تبتسم بتأدب :

ـ هذه بقيـة حسـابك .

والتفت اليها صاحبنا وهو يضرب على جيب صدريتـه وينهض بتثاقل ليقف على قدميـه .

ـ هل تبيعين هذا الطائر الصغير أيتهـا السـيدة ؟

ـ الله ... ان هذا السؤال يوثب له .

وبشكل متعمد أزاحت السيدة ـ بلسكوت ـ أحد دبابيـس شعرها وأخذت تحك رأسها بطرفه وهي تنظر الى صاحبنا نظرة امعان .

ثم رفعت صوتها بصورة فجائية صائحة :

ـ جورج ! هنا سيد يريد أن يشـتري طائرنا الصغير .. القفص وما فيـه .. ما قولـك ؟

فظهر رجل ضخم ذو شوارب كأنها عقدمن الحجر الرملي يرتدي ملابس ديدبان السجن ، من مؤخرة الكوخ وقد امتطى دراجة . وقال وهو يعـدل قبعتـه بشـدة !

ـ مـاذا هنـاك ؟

ودار صاحبنا تاركا فحصه للطائرة على الصوت الشديد، فلما رأى البدلة تقلص حتى وقف وقفة الاستعداد ، وذاب فجأة أو أنهمرت مـن فمه الكلمـات كالسـيل :

ـ لا عليكم .. لا عليكم .. انها غلطتي . أسف لاني أزعجتكم .. اظن .. اظن ان علي أن أذهب .. لا بأس قط .

وقبض على قبعته الصغيرة باصابعه بشـدة وأسـرع خارجا من الحديقـة ثقيل الرأس • والصخر يتطايـر من وقع أقدامه كأنـه هو الاخـر متضـايق •

ـ وأخذت السيدة ـ بلسكوت ـ تلهث •

ـ والان •• هل رأيت فى حيـاتك مثل هـذا ؟

فعدل الديدبان ضابط بنطلونه قرب الركبة بهدوء ونفض يديـه واخذ قطعة سكر ومضغها بصوت مسموع وبتلذذ واضح وقال :

ـ لقد خرج اليـوم ••• ترى ماذا تظنين أنـه كان سـيصنع بهـذا الطـائر ؟

فصل من :

مأساة الشاعر

ماجد سليم

عبـــدالوهاب الامين

الفصل الاول

ـ أعطاك عمره •

بهاتين الكلمتين القاسيتين اللتين يتناقض معناهما مع مفهوم العطاء الذي تحملانه قاموسيا •• بهاتين الكلمتين الجافتين اللتين يرددهماالناس فى مناسباتهما بشىء واحد من نبرة الرسمية الجنائزية •• أجابتنى السيدة « نرجس » فهرمانة الدار عندما سألتها بنظرة واحدة دون كلام عن صديقي الشاعر « ماجد سليم » •

وحاولت أن لا أدخل الدار البسيطة الضيقة التي تفوح من بعض أركانها رائحة عفنة متأتية من الرطوبة ، ولكن السيدة « نرجس » بدون وعي ثابت وبدون ارادة وقفت وكأنها تفسح لي مجال الدخول كالعادة • وترددت قليلا ولكني لم أجد القوة فى نفسى للدخول ، فقد بعد ما بيني وبين « ماجد » منذ زمن ، ولم أعلم بوفاته الا من الصحف ، وفاتني ما كان يعانيه فى فترته الاخيرة من خيبة •• وكنت على الدوام الوم نفسى ثم اعود فأرخي لها العنانمتواطئامع ضرورات الحياة ، ومخادعا لنفسى انها من الكثرة بحيث يحق لها أن تشغلني عنه •

ودخلت ••

وكان هناك بعض من لا أعرفهم من أقربائه البعيدين وعلى وجوههم كآبة الموقف ، والضيق الذى يشعر به من يدخل في مأتم أو يسير فى جنازة • وشعرت ان احدهم بلغ به الضيق حد العصبية الظاهرة ، وكأنه يريد أن يتخلص من هذا الموقف بأسرع وقت ممكن •

وعلمت من السيدة « نرجس » أن مجموعة « أوراقه » لا تزال حيث وضعها ، أو حيث يعتاد أن يضعها فيه ، وهو دولاب صغير قريب من مرقده •

وكنت أريد أن لا أطيل البقاء ، فقد كان همي ان اعرف ما اذا

كان حجم هذه « الاوراق » قد زاد لاني أعرف أغلب مادتها . فهي جزازات صغيرة يدون فيها بعض آرائه ، ومجموعة سخية من رسائله الى صاحبته ورسائلها اليه ، وبعض القطع الشعرية التـي طالما اعاد كتابتها وغير فيهـا .

وشعرت كأن هذه التركة توءول لـي بحكم الشريعة الادبيـة ، ولاحظت السيدة « نرجس » أن لـي مطلبا ، وكأنها حدست بأنـي لا أميل الى أخذ شيء مما تركه « ماجد » سوى ثقالة الورق النفيسة التي أهديته اياها فى احدى المناسبات ، فحاولت ان تأتي بها الـي ، ولكنني أشرت لها باصبعي بالنفي ، وبرأسي نحو الدولاب الصغير .

أدركت « نرجس » انني اقصد تلك « الاوراق » التي لا يريدها أحد . وقالت لي وعلى وجهها نصف ابتسامة .

— لقد قلت لهم أن هذه الاوراق تعود لاحـد أصدقائه ، تستطيع أن تأخذها !

وبأصابع مرتجفة أخـذت الجزازات والاوراق ووضعتها فى كيس من الورق كان لا يزال عليه دهن محتوياته السابقة ، ولعلها بقسماط المـــرض .

وخـــرجت .

* * *

كنت قد قرأت فى الصحف قبـل يومين نبأ وفاته ، وشعرت من كلمات الرثاء التي نشرت أن هناك من أفتقده كما افتقدته ، وان هناك من يريد أن يحيي ذكره وأن يجعل من رثائه موسما أدبيا .

لقد كان « ماجد » شاعرا متأنقا فى اسلوبه وان كان قليل الانتاج . وأقول مخلصا بأن لى رأيا خاصا فى شعره وانتاجه . أما شخصيته فاني من المعجبين بها اعجابا شـديدا . وهو يستحق ان يدرس وان يعنى باثاره عناية فائقة . ولعلى سأساهم فى هذا الواجب اسهاما مقبولا فى كتابة سيرة حياته .

وقد ولد « ماجد » وعاش فى فترة تستحق «التسجيل هى الاخرى،

وفى ثنايا حياته الخاصة شـىء كثير من عمومية الجيل الذى عاصره وهو جيل مهم فى تاريخ حياتنا .

كانت حياته كما روى لى طرفا منها بين الحين والاخر ، كغيرها من حيوات امثاله من البوهيميين الذين يسيرون سيرة اندفاع مغرور من البداية ، طائرين على بعض المثل العليا ، ثم تسحقهم ضرورات الحياة ، فيتضاءلون امامها قبل ان يستطيعوا تحقيق احلامهم البوهيمية .. ثم تذهب بهم الريح العاصفـة .

كان « ماجد » واحدا من هؤلاء .

كان لا يعترف بوجودشخص يفوقه علما بالشعر والادب.ولكنه اضطر فى الاخير الى ان يستجدي وظيفة كاتب صغير فى دائرة حكومية نائية .. وظل ينتظر فرصة الدهر لكي تبرز عبقريته على وجه البسيطة .

استمر يغرق الصحف والمجلات العربيـة فى العراق وفى الخارج بانتاجه (الضخم) كما كان يسميه . ولم يكن هذا الانتاج الضخم فى البداية سوى بعض المقاطع من (الشعر المنثور) الذى يمكن تفسيره على اوجه متعددة قد تتناقض احيانا . وكان الغالب على شعره هذا روح التطرح وتمجيد البؤس ! حتى اخذ فى الاخير يرى فيـه بطولة منكورة معكوســة .

لقد قضى الفترة الاخيرة من حيـاته فى نزاع دائم بين طبيعتـه الهستيرية الحساسة وواقع حياته المليء بالمتناقضات وقد اتخذ هـذا النزاع نفسه اشكالا متعددة متفاوتة ، فبدأ صغيرا محدودا حول بعض شؤون حياته البريئة التافهة ، ثم انحدر نزولا حتى ضم كل الشؤون تقريبـا .

ومن خلال هذه الفترات المتطاحنة نظم « ماجـد » خيرة شـعره واحسن ما كتب فى الادب والنقد . وقد كان ناقدا من طراز فذ ، ولو انصرف الى النقد والكتابة دون الشعر فلربما كان وصل الذروة .

ولو استطاع ان يكمل سيرة حياته بقلمه لكان خلف لنا شيئا فريدا يقرأ بلهفة . فقد قرأت مذكراته ، ولدي كثيرمنها مبعثر بين مواضيعه

وكنت معجبا بها ، وطالما كنت أحثه على المضي فيها دون جدوى •

فقد كان منصرفا الى قصائده الباكيـــة •

كان « ماجد » مفتوح القلب للحب • وصار لي بحكم الصلة التى توثقت به اطلاع على بعض مباذله وقد جعلني يوما موضع ثقته فاعطاني ما كان لديه من رسائل قديمة وصور فوتوغرافية لايزال اغلبها لدي •

ومن هنا كان اشتباكي فى قصة حبه العظيم •

اما جبلته الحقيقية فهي كالذهب صفاء • فهو يمتاز بروح عالية وكرم عظيم لا يتناســب مع امكاناته • فكان يقترض ـ وبالفائض فى اغلب الاحيان ليسدده بعد ذلك من راتبه الضئيل ـ لكي ينفق على بعض اصحابــه المعوزيــن •

وكان (يونس) احدهم •

وهو متأدب غلب عليه الجوع والفاقة لانه كان يعيش عيشة دون الكفاف فى كنف اب عامل بسيط واخ اكبر كان يعمل كاتبا فى صيدلية • وهو يريد استكمال دراسته لكي يستطيع اعالتهما بعد ان فقدوا جميعا ربة البيت ••• فكان اشــدهم نهما وجــوعا •

وكان « يونس » الصق الناس بماجد • ولم يكن هو الاخر يخلو من الحس الادبي ، بل لعله كان اسلم حسا من « ماجد » الذى آذته رهافة حســه فجعلته يعيش فى عالم اخر •

وقام (يونس) بدور المنافق لماجد ،فزين له أن شعره المتباكي هــو انتاج ادبي (ضخم) وغالــى فى وصف كتاباته وجعله ينصرف ذلــك الانصراف الى أدب الحزن والتشاوءم وتقديس البوءس •

وفى ظني لو ان احدا غير (يونس) قد تلقف (ماجد) فى تلــك الفترة فلعله كـــان يستطيع ان يؤثر عليه تأثيرا خيرا من ذلك •

وظل (يونس) ملاصقا لماجد مدة طويلة كان فيها الزم له من ظله. وما عتم ان اختلف الوضع بينهما فى فترة كنت بعيدا فيها عن بغداد ،

ـ لو أنك استبدلت لواذعك هذه بشعر أصيل .. لما فاتك أحد .

ولم يفهم النكتة لانه كان يتعالى عندما ينصت ويكون فى الوقت نفسه مشغولا بغير ما يسمع .

وظل علـى تقشفه الروحى . ولكنه ظل أيضا يمارس التعالي فـي حياته الفكرية . وفى تلك الاثناء ظهرت له أول مجموعة مـن الشعر ، وهي مقتطفات مما قد نشر سابقا فى الصحف . وكانت مشحونة بالاغلاط المطبعية التى أساءت الى مادتها ابلغ الاساءة . ولكنها مع ذلك قوبلت ببعض الاستحسان ضمن حلقة ضيقة من المعجبين .. وتظاهر هـو ، كما كان المنتظر منه فى أمثال هـذه الحالات ، بأن ذلك أمـر لا يعنيه كثيرا . بل لقد تعمد اغفالها فى أكثر الاحايين استكبارا وتعجرفا !

* * *

وفى تلك الاثناء زادت معرفتنا رسوخا وتطورت الى صداقة متينة . وكان أهم ما يدفعني الى تثبيت أواصر هذه الصداقة اعجابي الحقيقى بصديقي كفرد يمتاز ببعض الخلال المحبوبة ، وبذكاء متوقد ، وليس كأديب « كبير » كما كان يرى نفسه . وقد آذاني مرة أن أراه يرضى لنفسه ان يختفي وراء توقيع « اديب كبير ينم عنه اسلوبه » وصفته احدى الصحف فوق مقالات متسلسلة له ، ولم يعترض عليه .

ولم أجد بـين اصدقائنا المشتركين مـن يعرف باسهاب احـوال « ماجد » ولا تاريخه . وكان هو أيضا يجهل الكثير لانه عاش يتيما بعد فقدوالده حيث كفله عمه . وكان يحدثنى عن أوائل حياته دون أن أسأله فيفيض فى الحديث اذا كان الموضوع انسانيا ، فاذا عن لـي أن أسأله سؤال المتحقق عن مكنونات ماضيه يبدو عليه الضيق ويحاول أن يتظاهر بالغفلة فلا يجيب عن اسئلتي بصراحة .

وقد علمت من متفرق ما حدثنى به أنه ولد فى جنـوب العراق فى الفترة التى تلت الحرب الكونية الاولى ، وأنه يذكر من أوائل حياتـه اول ما يذكر كيف احتـل الانكليز بلدته فرأى الجنـود « السيخ »

والهنود يتصارعون فى الطـرق والازقة والساحات • وقد وصف لي كيف ، كان يذهب الى حلبات المصارعة التى يقيمها جنود الامبراطورية فيما بينهم ، وهو طفل صغـير •• « يتفرج » على المتصارعين وهم يطلون أجسادهم ــ كما هي عادة الهنــود ــ بدهان معين مــن قبـل المصارعة ، فكان ذلك يدخل الرعب فى نفسه •

وكان أبوه من أوساط الناس ، وكذلك كان عمه • وكــان مؤمنا مثاليا يحاول ان يزرع الايمان الدينى فى قلب « ماجد » ويتخذ لذلك الغرض اقسى السبل • ولذلك اصبح « ماجــد » متشككا يميل الى العقلانية فى تفكيره ويكره التعصب ، وذاك كرد فعــل للقسر الــذي كابده على يد ذويه •

وقد بلغ التزهد بوالده أن استحال فى أخريات ايامه ، الى نوع من التقشف والوسوسة جعله أقرب الى المأخوذ منه الــى سليم العقل •

ويبدو لي أن هذه الصورة التي رسمها « ماجد » لي مخففة كثيرا عن الواقع • فلعل أباه كان فى الحقيقة مرتج العقل ولا يريد هــو أن يعرف ذلك عنه لكي لا يتهم ــ ولو من بعيد ــ بأن ما فيه من عدم الاستقرار قد جاءه عن طريق الوراثة !

هذا اذا علمنا كم كان هو يؤمن بالوراثة واثرها فى حياة الانسان •

البرتو مورافيا هو كاتب ايطاليا الكبير في هذا العصر . وكما هو شان الكتاب الكبار ، فقد اجتاز الحاجز المحلي واصبح من كتاب العالم. وقد رشح اكثر من مرة لنيل جائزة نوبل للاداب ، وليس هناك من شك كبير في انه سينالها .

وهو من الكتاب الانسانيين الذين تغلغلوا في عمق النفس البشرية عن طريق الجريمة والجنس . ولا يشك احد في قدرته الفائقة على بسط العلاقة بين الجريمة والعقل ، وبين الجنس والحياة الاجتماعية . وقد اغنى الادب العالمي برواياته الفريدة في هذه المجالات .

وقصة الحذاء — واسمها الحقيقي مرعب روما — من خيرة قصصه القصيرة . نشرت في اكثر من مجموعة ونقلت الى جميع لغات الارض الحية . واعتبرتها مجلة القصة الانكليزية المعروفة — آرجوس — انموذجا للقصة الحديثة .

حـذاء ..

((للقاص الايطالى البرتو مورافيا))

مضى كل منهما لشأنه دون ان يلتفت الى الاخر ضما واعتناقـا دون ان يخجلا من ان يراهما الاخران اللذان يقومان بنفس العمل .

وقد بدأ لورنسو وكأنه نسي رغبته فى قتل النـاس ، لانه خلق كذلك يغير رأيه بكل يسر ، فهو عندما رأى الان كل هؤلاء العشاق يتناولون القبل أخذ يتنهد وقد التمعت عيناه وامتلأ وجهـه حسـدا وقـال :

ـ انني شاب ايضا بعد كل هذا . واقول لك الحق انني عندما ارى هؤلاء المتحابين يتبادلون القبل ،ولو اني كنت من الريفه لا من روما ، لارعت الرجل بحيث اجعله يهرب ثم التفت الى المرأة واقول لها

ـ تعالي الي يا جميلتي .. تعالي يا جميلتي .. لن اؤذيك .. تعالي الي يا عزيزتي .. تعالي الى صغيرك توماسو .

وانحدر الى منتصف الممر بعيدا عني بعض الشيء والتفت لينظر الى ازواج العشاق بشكل مخز وهو يلطع شفتيه بلسانه الكبيرالاحمر كأنه ثور ، وأراد مني أن أنظر الى العشاق أنا ايضـا وكيف ان الرجال يضعون أيديهم تحت أثواب النساء ، وكيف ان النساء يتعلقن بالرجال ويسمحن لهم بوضع ايديهم عليهـن فاجبته :

ـ ما اغباك ! هل تريد او لا تريد الناي ؟

فالتوى مستديرا لكي ينظر الى احد المقاعد واجاب :

ـ ان ما اريده ألان هو الفتاة .. اية فتاة .. تلك مثلا .

فقلت :

ــ في هذه الحالة لم يكن ينبغى لك ان تأتى بالالة الحـديدية معك ولم يكـن ينبغي لك ان تأتي معي •

فأجاب :

ــ اكاد اظن ان ذلك كان الاجدر بي •

قال ذلك لطيشه ولانه ذو بدوات فى كل لحظة • ولما كنا ندور حول « التيشيو » لحظ السيقانا لنسوية العـارية ، رأى القبلات والعناق فكان ذلك كافيا له لكي يشعر بانه يتحرق شوقا الى تبـادل الحب مع اي شخص •• كما اني انا نفسي ، من الجهة الاخرى لم أكن من السهل أن يثنيني ثان عن شيء اريده ، فانى الح في طلبه ولا أطلب سواه •• وعلى ذلك فقد اردت الحذاء وصممت على أن أناله ذلـك المساء مهما كلفني الامر •

وتجولنا فى ــ النيشيو ــ وهلة من ممر الى آخر ومن مقعد الى مقعد واجتزنا جميع التماثيل الرخامية البيضاء المصفوفة صفـا طويلا تحت ظلال الاشجار • فلم نجد قط المحل الامثل لاننا كنا نخشى على الدوام ان يرانا حبيبان قريبان منا ، وقد عاد لوروسو مرة اخرى الى ذهوله • ولم يعد الحب ما يفكر فيه بل اخذ يفكر الان ، ولغيرسبب ظاهر ، فى التماثيل الرخامية • وسألني مطالبا على حين غرة :

ــ لمن هذه التماثيل كلها ؟ اريد ان اعرف من هم هؤلاء فاجبته •

ــ اترى كم انت جاهل ؟ أنهم رجال عظماء •• وما داموا عظماء فقد نحتت لهم التماثيل ووضعت هناك • فذهب الى احد التماثيل ونظر اليـه وقـال :

ــ ولكن هذه امرأة •

فأجبته :

ــ تستطيع ان ترى انها هي ايضا امرأة عظيمة • فلم يبد عليه الاقتناع وسألني اخيرا •

ـ اذا كنت انا أيضا عظيما فهل سيضعون لي تمثالا ؟

ـ بالطبع سيفعلون ذلك .. ولكنك لن تكون رجلا عظيما قط .

ـ وكيف عرفت ذلك . لنفرض انى اصبحت ـ مرعب روما ـ .. اذا قتلت عددا من الناس وتحدثت عني الصحف ، ولم يستطيعوا القبض علي .. عند ذلك سيضعون تمثالا لي أيضا .

وشرعت اضحك بالرغم مني لانى كنت اعرف من اين جاءته فكرة ان يكون ـ مرعب روما ـ فقد كنا مرة نرى فلما يدعي ـ مرعب شيكاغو ـ . فاجبته :

ـ كلا . لن تكون رجلا عظيما بقتل الناس . ما اجهلك !.. ان الرجال العظماء هم اولئك الذين لا يقتلون أحدا .

ـ ماذا صنعوا اذن ؟

ـ اوه ... لقد ألفوا الكتب .

فلم يرتح الى هذا الكلام لانه كان اميا تقريبا ولكنه قال فى الاخير :

ـ على كل حال اود ان يكون لي تمثال صحيح اني « اريد » ذلك التمثال فبهذه الوسيلة سيذكرني الناس .

فقلت له :

ـ انك غبي شديد الغباء ، ولكن لا فائدة من قولي ذلك فانه مضيعة للوقت .

وعلى ذلك فقد طفنا هونا ما ثم عدنا الى شرفة « التيشيو » وكان هناك بعض السيارات وبعض الناس الذين يغادرونها باعجاب الى منظر مدينة روما . وذهبنا نحن ايضا الى حافة الشرفة ، ومن هناك تستطيع ان تشاهد روما كلها وهي تبدو كالكعكة السوداء المحروقة بينها بعض شقوق من ضياء وكل شق يمثل شارعا . ولم يكن هناك ضوء قمر ، والسماء صافية وهديت لوروسو الى ظل قبة كنيسة

القديس بطرس وهي تبدو سوداء فى السماء المضيئة بالنجم
فقال لي :
ــ فكر هنيهة لو اني كنت ــ مرعب روما ــ فان جميع الناس في هذه البيوت سيفكرون بي ويخشونني طيلة الوقت •• وانا ••
ــ وقام بحركة بيده فى هذه اللحظة كأنه يريد ان يهدد بها روما كلها ــ اذهب كل ليلة واقتل انسانا ولن يجدني احد •
فأجبته :
ــ انك مجنون مطبق الجنون • وينبغي ان لا تذهب قط الى السينما • انهم فى امريكا لديهم المدافع الرشاشة والسيارات ،وهم منظمون ، يقومون بهذا العمل جديا •• لكن من انت ؟• مجرد راع نشأ على روب اللبن يحمل آلة حديدية فى سترته المقفلة •
فقال لي اخيرا وبعد سكوت مجروح :
ــ انه لمنظر فتان •• لا مشاحة فى ذلك •• انه فتان حقا ، ولكني افهم من ذلك اننا لن نصنع شيئا الليلة ، سنذهب الى البيت لننام •
فسألته :
ــ ماذا تعني ؟
ــ اعني انك قد هدأت وجبنت
وكان يفعل ذلك دوما ، فذهنه يشرد ويأخذ بالتفكير بالاشياء الاخرى ثم يضع اللوم علي ويتهمنى باني جبان •
ــ تعال ايها الاحمق ، سوف اريك اذا كنت خائفا أم لا •
ونزلنا فى احد الممرات المظلمة التي تؤدي الى السور الذي يطل على طريق « المورتورتر » فقد كانت هناك مصطبات وعدد كثير من العشاق هناك أيضا ، ولكني ادركت انه لن يقع شيء هناك لسبب أو لاخر وأشرت الى لوروسو ان يستمر فى المشي • وفى أحد المناطق وجدنا عاشقين فى زاوية مظلمة حقا ومنعزلة وعزمت فى تلك اللحظة ،

ولكن شرطيين خياليين مرا واختبأ العاشقان هربا من ان يرياهما .

وهكذا تبعنا السور طول الوقت ووصلنا جانبا من ـ البنشيو ـ يطل على جسر « المورتورتو » وكان هنـاك عريش يحيط به حاجز من نبات الغار مسور بالاسلاك الشائكة . وفي طرف منه باب صغيرة مفتوحة على الـدوام وكنت اعرف هـذا العريش لاني نمت هناك ليالي مختلفة عندما لم اجد حتى المال الكـافي لادفعه لسرير الخادم ، وصور أشبه بالجنينة لها نوافذ زجاجية على الجانب المطل على الجسر وفي داخلها وضعت ادوات الجنائن وسفاري الزهور وعدد من التماثيل الرخامية التي حطم الاطفال الصغار انافها أو رؤوسـها لغـرض ترميمها .

ذهبنا الى السور وجلس لوروسو عليه واشعل سيكارة . جلس هناك وهو يوازن نفسه ويدخن بصفاقة . وهنا غمرني شعور قوي من الكراهية له حتى لقد فكرت جديا بان ادفعه من على الحافة . ولعلـه كـان يقع من علو مـائة وخمسين قـدما فيتحطم كمـا تنكسر البيضة على أرضية طريق ـ المورتورتر ـ وعند ذاك اركض مسارعـا كي اخذ ذلك الزوج من الاحذية التي كنت احن اليها . كنت في تلك اللحظـة مهتاجا ، لاني كنـت ادرك انني قـد خدعت نفسي برهة فكرهت لوروسو بحيث أوشكت ان اقتلـه ، في حين ان السـبب الحقيقي على العكس من ذلك ، كان لا يزال الحـذاء الملعون وكـان سواء لدى أن جاء به لوروسو أو غيره شريطة أن يأتيني .

ولكـن لعلي كنت أرمي به حقا من على الحاجز ، لان الطـواف اتعبني واصبح هو يضايقني ويهز أعصابي ، لولا انه لحسن الحـظ وبصورة فجائية ، مر بجـانبي شخصان كادا يلمساننا ، شـبحان متشابكان ، كانا حبيبين . مرا من امامي وكان الرجـل أقصـر من المرأة . ولكني لم استطع ان ارى وجههما بسبب الظلام، وعند الباب

الزاوية ألتي تقع بين السور والباب عمود ضياء يلقي بضوئـه علـى السياج ومن خلال زجاج النوافذ الى داخل الجنينة وفى امكانك ان ترى داخل الجنينة صفوفا صفوفا من سنادين الزهور منسـقة باتقان حسب حجومها ، وخلفها عدد من تلك التماثيل الرخامية واقفة على الارض وهي تبـدو غريبة فى ذلـك البيـــاض والهدوء كأنهـــا اناس خرجوا من بـاطن الارض الى اعـلاها • استطيع ان أرى العاشقين لاول وهلة ثم تحسستهما فى الطرف الاخيـر مـن الجنينة بعيدين عن الضياء ، فقد كانا فى زاوية مظلمة ولكن الفتاة كانت واقفة فى جزء من الشعاع المنبعث من عمود الضياء ، وقد استطعت ان أعرفها من يدها ألبيضاء ألتي تركتها تنسحب بجمود على ظل بدلتهـا ألداكن عندما كانا يتبادلان القبل •

فدفعت الباب وفتحته وانا أقول :

ــ من هناك ؟ ماذا تصنعون هنا ؟

فاندفع الرجل قادما على الفور فى وضع ثابت فى حين ان المرأة ظلت فى الزاوية ، ولعلها كانت تأمل ان لا يراها أحد • وكان رجـلا قصيرا شابا ذا رأس كبير ورقبة تكاد لا ترى ، وكـان وجهه منتفخا وعيناه بارزتين وشفتاه متدليتين وكان كما لحظت فورا مليئا بالثقـة ولم يكن جذابا قط • وبصورة تلقائية خفضت بصرى ألى قدميـــه ونظرت الى حذائه فوجدته جديدا ومن النوع ألذى احبه ، أمريكـي ألطراز بكعب من الكريب المطاطي وجلد الحيات • ولم يبد عليه قـط انه خائف وقد أغاظني ذلك حتى ان تقلص وجهي زادت شـدته عـن العادة وقال : ــ

ــ وانت ؟ من تكون

فاجبت :

ــ نحن شرطة • الا تعلم أن التقبيل فى المحلات العامة محظور ؟

أنكما تخالفان القوانين •• وأنت أيتها السنيورة ، ارجوك التفضل بالتقدم فلا فائدة من الاختباء •

وأطاعت وتقدمت واقفة بجانب صديقها ، وكانت كما سبق أن قلت أطول قليلا منه ، رشيقة ترتدي صدرية ضيقة وتنورة سوداء على شكل الجرس تنزل الى منتصف الركبة • وكانت جميلة لها وجه كوجه العذارى وشعر طويل اسود وعينان سوداوان واسعتان ، وبدت كأنها فتاة جدية غاية فى الجدية بلا تزيين وتزاويق فى وجهها بحيث أنني لو لم أشاهدهما يقبلان بعضهما لما صدقت قط انها تستطيع ذلك ، فقلت لها لكي أعطي وقع دوري كشرطي قوته !

ــ الا تعلمين ايتها السنيورة ان التقبيل فى المحلات ألعامة محظور؟ ثم أنه مخز لسيدة شابة مثلك •• تقبيل فى الظلام فى حديقة عامة كأية عاهرة عادية ••

وكانت على وشك أن تحتج ولكنه أشار اليها وأوقفها ثم استدار نحوي وقال بوقاحة :

ــ حسن : أنا مخالف القوانين ، أليس كذلك ؟ طيب أرني اوراقك •

ايــة أوراق ؟

ــ الاوراق التى تثبت أنك شرطي حقيقي •

ومن فى خاطري مرور البرق أنه هو نفسه من الشرطة ولم يكن ذلك يثير استغرابي لماحالفني من سوء الحظ عادة ، ولكنني قلت له بغلظة:

ــ كفه عن اللغو • انك تخالف القوانين وعليك ان تتحمل الجزاء•

فقال بسرعة وكأنه أحد المحامين ، ولم يبد عليه أنه مخالف

ــ أدفع حقا ! وأنتم شرطة حقا ! شرطة بمثل هذه الوجوه ، وهو بمثل هذه السترة المقفلة ، وانت بمثل هذا الحذاء !• هل تظنني مجنونا؟

وبهذه الاشارة الدالة على حذائي ــ وكان حقا بتمزقه واختلاف شكله لا يمكن أن يعود لشرطي ــ إستحوذ على نوع من الغضب :

فسحبت المسدس من جيب معطفي المانع لتسرب المياه ودفعت به نحو معدتـه وأنا أقـول :

ـ حسن اذن .. نحن لسنا شرطة ، ولكن عليك أن تسـلمنا نقودك كيفما كان الحال ولا تقم بأية حركة .

وكان لوروسو حتى تلك اللحظة واقفا جنبي دون أن يتفوه بكلمة مفتوح الفم وهو يحدق بغبائـه المعهود . ولكنـه عندما رأى أني قد تركت تمثيل الدور استيقظ وقال وهو يزدهي بصامولته الحديدية تحت أنفه الرجل :

ـ سلمنا نقودك الا اذا اردت أن أكسر رأسك بهذه . فأغاظني تدخله اكثر مما اغاظتني وقاحة الرجل ، واطلقت الفتاة عندما رأت الآلة الحديدية الثقيلة صرخة خافتة، ولكني قلت لها بادب ، لاني كنت اعرف كيف أكون مؤدبا عندما اريـد :

ـ أيتها السنيورة لا تلقي بالا لما يقوله .. انه مجنون . لا تقلقي لن يؤذيكما أحد . عودي الى الزاوية هناك وأتركينا ننتهي من هـذه المسألة . وأنت .. اترك الصامولة الحديدية . ثم قلت للرجل :

ـ هيـا .. عجل .

ولا بد من القول بان الرجل مهما بلغ من جهامته فأنه على كل حال كان شجاعا ، فهو حتى تلك اللحظة وأنا أدفع بالمسدس فى معدته ، لم يبد عليه الخوف ، فقد مد يده ببساطة نحو جيبه الداخلي فى الصدر واخرج حافظة نقوده وهو يقول :

ـ هاك الحافظـة .

فعصرتها وانا اضعها فى جيبي وقد احسست من لمسها انها تحتوي الكثير من المال فقلت مسـتطردا :

ـ والان أعطني سـاعتك .

فنزع الساعة من رسغه وسلمني أياها وهو يقول :

ــ هاك الساعة • انها ساعة لا قيمة لها ذات غلاف حديدي •

ــ والان أعطني قلمك •

فأستخرج القلم من جيب الصدري وهو يقول :

ــ هاك القلـم •

وكان قلما جيدا من النوع الامريكي ممشوقا مغلفا •

ولم يبق هناك ما اطلبه •لم يبق الا ذلك الحذاء الجميل الجديد الذى لفت نظري من أول وهلة ، فقال لي ساخرا •

ــ هل تريد شـيئا اخر ؟

فأجبت بلا تردد •

ــ نعم أخلع حذائك •

وفى هذه المرة أحتج قائـلا :

ــ حذائي ؟ كـلا !

وهنا لم أستطع المقاومة • فقد كنت منذ وهلة ــ وفى الواقع منذ البداية ــ أغالب الرغبة فى أن اضرب ذلك الوجه الخالي من ألجاذبية ، وكنت أريد أن أرى تأثير ذلك على نفسي كما اريد ان اراه عليـه • لذلك قلت له :

ــ انزع حذاءك •• هيا •• لا تكن احمق •• وضربتـه بيدي الطليقة ضربة مستديرة ، فأحمر وجهه ، ثم صار ابيض وكنت اكاد اشعر باللحظة التي سينقض فيها علي •

ولكن لحسن الحظ صرخت الفتاة من الزاويـة !

ــ نعم يا جينو أعطهم كلما يريدون

وعض شفته حتى دميت وهو يحدق بي وقال ؟

ــ حســـن اذن

ثم أنحنى وشرع ينزع حذائه الواحد بعد الاخر وأخذ ينظر اليهما قبل أن يعطيهما لي نظرة اسف ، فقد كان يحبهما ، وبدا قصيرا جـدا

بدون حذائه حتى لقد كان أقصر من لوروسو ، وعرفت لماذا أبتاع لنفسه حذاء له كعب عال كذلك الكعب .

وهنا حدثت الغلطة .

فقد سألني وهو واقف هناك فى جراباته !

ــ ماذا تريد الان ؟ هل تريد ثوبي أيضا ؟

وكنت على وشك أن أجيبه بان ذلك يكفى وقد أمسكت بالحذاء بين يدي ، ولكن شيئا لمس جبهتي .

كان عنكبوتا صغيرا نزل من خيوطه فى سقف الجنينة ورأيته على الفور تقريبا ، ووضعت يدي على جبهتي لكي أزيحه عنها ، فرفع لوروسو ، لغبائه المعهود ، التة الحديدية ظانا انى قد أعطيته الاشارة ، وهوى بها بضربةعنيفةعلى مؤخرةرأس الرجل.وسمعت صوت الضربة الشديد الكامد كأنه كان يضرب آجرة ، وعلى الفور سقط الرجل الى الامام وهو يحضنني كالسكران ثم تطوح الى الارض ووجهه الى الاعلى وأنضوت عيناه فلم يبد منها الا البياض وصرخت الفتاة صرخة خافتة وهي تندفع من زاويتها وتنحني عليه وتدعوه باسمه وهو مسجى دون حراك على الارض . ولكي أبين كم كان لوروسو غبيا فلا حاجة الى القول أكثر من أنه ، فى غمرة هذا الاضطراب ، رفع ألته الحديدية مرة أخرى فوق رأس الفتاة الراكعة وهو ينظر الي نظرة تساؤل لكي يعرف هل عليه أن يقوم باللعبة كرة اخرى معها كما فعل مع صديقها ، فصرخت فيه !

ــ هل جننت ؟ تعال . دعنا نذهب وأنفلتنا منصرفين .

وما عتمنا ان اصبحنا فى الممر حتى قلت لروسو :

ــ امش وئيدا الآن كأنك تريض. لقد ارتكبت من الحماقات ما يكفي ليوم واحد .

فخفف من خطوه ، ووضعت وأنا أمشي بجانبه ، فردتي الحذاء

ى جيب المعطف المانع لتسرب المياه ، وقلت للروسو ونحن نذهب :
— لاحاجة لي الى القول لك كم أنت غبي . لماذا بالله خطر لك
ن تضرب الرجل فى رأسه هذه الضربة ؟
فنظر الي مجيبـا :
— لقد أعطيتني الاشـارة ؟
— لقد مس عنكبوتان جبهتي .
— ومن أين لي أن أعرف ؟ لقد اعطيتني الاشـارة .
وكنت فى تلك اللحظـة فى حالة من الغضب حتى لقـد كان فى وسعي أن أخنقـه . فقلت له مغضبا .
— أنك معتوه . لقد كدت تقتله .
فاخذ يحتج كاني كنت أهينه وقال :
— كلا . لقد ضربته بمؤخرة الالة وليس لها رأس مدبب ، ولو كنت أريد قتله لضربته بالرأس المدبب .
فلم اقل شيئا ولكني كنت ازبد من الغضب وكان وجهي يتقلص شكل أضطررت معه الى أن أضع يدي على خدي لوقفه ، فاستمر يقـول :
— أرأيت كم كانت جميلة هذه الفتاة . لقد كنت على وشك أن اقول لها — تعالي يا جميلتي .. تعالي يا عزيزتي — وقد أخطأت اذ لم احاول .. وظل يهرف بطريقته التي يرضاها لنفسه ليخبرني ماذا كان سيصنع بها لولا أني قلت له فى الاخير : اقفل فمك الوحشى الواسع واهدأ .. والا فأني لا اضمن .
فسـكت عن الكلام وبقينا نمشـي بصمت فى — البياز الـى فلامينو — بمحاذاة النهر وأجتزنا الجسر ووصلنا — بيازا ديلا لبرتا — وكانت هناك مقاعد تحت ظلال الاشجار ولم يكن هناك أحد وقد جاء الضباب يتهادى من نهر — التيبر — فقلت له :

ـ دعنا نجلس هنا هنيهة • ففي وسعنا أن نرى ما غنمنا • ثم أني أريد ان اجرب الحذاء •

وجلسنا على أحد المقاعد ، وابتدأت بفتح حافظة النقود فوجدت أنها لا تحوي سوى الفي ليرة قسمناها بيننا بالتساوي ، ثم قلت للروسو

ـ أنك لا تستحق فى الحقيقة أي شيء ، ولكني رجل عادل وسوف أعطيك الحافظة والساعة واحتفظ نفسي بالحذاء وقلم الحبر ، هل هذا حسن ؟

فاحتج على الفور قائلا :

ـ انه ليس حسنا بكل تأكيد • ما هو الا سلوك شاذ ، فان حصة النصف لي ؟

فأجبته مغضبا :

ـ ولكنك ارتكبت خطأ ومن الحق أن تجازى عليه •

وظللنا نتجادل مدة وفى الاخير اتفقنا على أن أحتفظ بالحذاء وان يأخذ هو الحافظة وقلم الحبر والساعة •

ولكني مع ذلك قلت له :

ـ ماذا تصنع بقلم الحبر ؟ أنك لا تستطيع أن تتهجى حتى أسمك •

فأجابني :

ـ اذا كنت تريد أن تعرف فانني ـ أستطيع ـ ان اقرأ وان اكتب ، لقد ذهبت الى المدرسة الاولية • ثم أني أستطيع على الدوام أن ابيع قلما كهذا فى ـ البيازا كولونا ـ •

فرضخت لذلك لاني كنت أتحرق شوقا للحظة أستطيع فيها أن ارمي حذائي القديم بالاضافة الى أني تعبت من العراك وقد ألمتني حالتي العصبية حتى شعرت بالالم فى معدتي • وعلى هذا فقد خلعت حذائي وجربت الحذاء الجديد ، ولكني أكتشفت ، لخيبتي ، أنه كان صغيرا جدا ، ومعروف أنه لا علاج قط فى الدنيا التى يعالج فيها كل

شيء الا الحذاء الصغير ، ولذلك فقد قلت للروسو •

ـ أسمع •• أن هذا الحذاء صغير جدا على قدمي ولكنه يناسب قدمك تماما •• فدعنا نتبادل ، فاعطني جزمتك الكبيرة على قدمك ، واعطيك هذا الحذاء الذي هو احسن واجد من جزمتك •

وهنا أطلق صفيرا طويلا بازدراء واجابني :

ـ أيها المجنون المسكين •• قد أكون غبيا كما تقول ، ولكني لست من الغباء الى هذا الحذاء •

ـ ماذا تعنـــي ؟

ـ أعني أن الوقت قد حان للنـــوم •

ونظر بزهو الى ساعة الشاب اليدوية وأضاف قائلا :

ـ ان ـ ساعتي ـ تقول أن الوقت قد بلغ منتصف الثانيـــة عشرة ، ماذا عن ســاعتك ؟

ولم أقل شيئا ، ولكني أعدت فردتي الحذاء الى جيب المعطف وتبعتــه •

وركبنا الترام ، وكنت طيلة الوقت أفكر ، وقد أحتز فؤادي سوء الحظ ، ببلادة لوروسو ، وماذا ينبغي علي أن أفعل لكي أغريه باعطائي جزمته بدلا من حذائي • وعندما غادرنا الترام فى الحي الذى تقطنــه أعدت فتح المناقشة فلما وجدت أن المنطق لا يغني معه انحدرت الى الاســتعطاف فقلت لــه أ

ـ لوروسو •• أن هذا الحذاء مسألة حياة أو موت بالنســبة لي • فأنا لا أستطيع العيش بدونه ، فاذا كنت لا تريد أن تصنع ذلك الصنيع من أجلي ، فافعل ذلك حبــا بالله !

وكنا فى شارع منعزل فى الطريق المؤدي الى ـ سان جيوفاني ـ فوقف تحت عمود من أعمدة الضيــاء وأخذ يتلوى بقدمه الى هنــا وهنــاك بخيــلاء لكي يغيظني •

ـ دعنا نجلس هنا هنيهة • ففي وسعنا أن نرى ما غنمنا • ثم أني أريد ان اجرب الحذاء •

وجلسنا على أحد المقاعد ، وابتدأت بفتح حافظة النقود فوجدت أنها لا تحوي سوى الفي ليرة قسمناها بيننا بالتساوي ، ثم قلت للروسو

ـ أنك لا تستحق فى الحقيقة أي شيء ، ولكني رجل عادل وسوف أعطيك الحافظة والساعة واحتفظ نفسي بالحذاء وقلم الحبر ، هل هذا حسن ؟

فاحتج على الفور قائلا !

ـ انه ليس حسنا بكل تأكيد • ما هو الا سلوك شاذ ، فان حصة النصف لي ؟

فأجبته مغضبا :

ـ ولكنك ارتكبت خطأ ومن الحق أن تجازى عليه •

وظللنا نتجادل مدة وفى الاخير اتفقنا على أن أحتفظ بالحذاء وان يأخذ هو الحافظة وقلم الحبر والساعة •

ولكني مع ذلك قلت له :

ـ ماذا تصنع بقلم الحبر ؟ أنك لا تستطيع أن تتهجى حتى أسمك•

فأجابني :

ـ اذا كنت تريد أن تعرف فانني ـ أستطيع ـ ان اقرأ وان اكتب ، لقد ذهبت الى المدرسة الاولية • ثم أني أستطيع على الدوام أن أبيع قلما كهذا فى ـ البيازا كولونا ـ •

فرضخت لذلك لاني كنت أتحرق شوقا للحظة أستطيع فيها أن ارمي حذائي القديم بالاضافة الى أني تعبت من العراك وقد ألمتني حالتي العصبية حتى شعرت بالالم فى معدتي • وعلى هذا فقد خلعت حذائي وجربت الحذاء الجديد ، ولكني أكتشفت ، لخيبتي ، أنه كان صغيرا جدا ، ومعروف أنه لا علاج قط فى الدنيا التى يعالج فيها كل

شيء الا الحذاء الصغير ، ولذلك فقد قلت للروسو .

ــ أسمع .. أن هذا الحذاء صغير جدا على قدمي ولكنه يناسب قدمك تماما .. فدعنا نتبادل ، فاعطني جزمتك الكبيرة على قدمك ، واعطيك هذا الحذاء الذي هو احسن واجد من جزمتك .

وهنا أطلق صفيرا طويلا بازدراء واجابني :

ــ أيها المجنون المسكين .. قد أكون غبيا كما تقول ، ولكني لست من الغباء الى هذا الحداء .

ــ ماذا تعنـــي ؟

ــ أعني أن الوقت قد حان للنـــوم .

ونظر بزهو الى ساعة الشاب اليدوية وأضاف قائلا :

ــ ان ــ ساعتي ــ تقول أن الوقت قد بلغ منتصف الثانيـــة عشرة ، ماذا عن ســاعتك ؟

ولم أقل شيئا ، ولكني أعدت فردتي الحذاء الى جيب المعطف وتبعتـــه .

وركبنا الترام ، وكنت طيلة الوقت أفكر ، وقد أحتز فؤادي سوء الحظ ، ببلادة لوروسو ، وماذا ينبغي علي أن أفعل لكي أغريه باعطائي جزمته بدلا من حذائي . وعندما غادرنا الترام فى الحي الذى تقطنـه أعدت فتح المناقشة فلما وجدت أن المنطق لا يغني معه انحدرت الى الاستعطاف فقلت لـــه أ

ــ لوروسو .. أن هذا الحذاء مسألة حياة أو موت بالنســبة لي . فأنا لا أستطيع العيش بدونه ، فاذا كنت لا تريد أن تصنع ذلك الشنيع من أجلي ، فافعل ذلك حبــا بالله !

وكنا فى شارع منعزل فى الطريق المؤدي الى ــ سان جيوفاني ــ توقف تحت عمود من أعمدة الضيـــاء وأخذ يتلوى بقدمه الى هنـــا وهنـــاك بخيـــلاء لكي يغيظني .

ـ ما اجمل هذه الجزمة ! انها جزمتي•وهي تثير حسدك اليس كذلك ؟ ولكن لا فائدة من الغيظ بسببها ، فلن أعطيك أياها •

ثم أخذ يغني لنفسـه :

ـ كلا •• كلا •• كلا •• لم تأخذها ولن تأخذها اليوم •

وكان في الواقع يسخر بي •

عضضت شفتي ، وأقسم لو أن في مسدسي طلقات لقتلته لا بسبب الحذاء فحسب بل لاني لم أعد اطيقه • ووصلنا على هذا الحال الى الغرفة الارضية حيث تنام ،فنقرنا على النافذة وقام الخادم كالعادة منذرا وفتح الباب ونزلنا الى عنبر النوم •

وكان هناك خمسة فراشات في صف واحد وكان الخادم ينام في الفراش الاول مع أبنيه وهما شابان من لوائنا وفي القسم الاخير أنام أنا مع لوروسو وكان الخادم يستوفي الاجر مقدما ثم يطفيء النور ويذهب للنوم في الوقت الذي نبحث فيه عن أماكننا في الظلام ثم نرقد •

ولكنني ما عتمت أن أستقر بي المقام تحت الدثار الخفيف حتى أخذت افكر مرة اخرى بالحذاء وستقر الرأي عندي أخيرا على قرار •

نام لوروسو بثيابه ولكني كنت اعرف انه ينزع حذاءه ويضعه على الارض بين فراش الخيمة سأقوم في الظلام والبس جزمته واترك له حذائي وبعد ذلك أخرج بدعوى انني اقصد محل الخلاء الذي كان يقع خارج الدخل المؤدى الى الغرفة الارضية وقد خيل لي ان هذه الخطة تقيدني لان هناك احتمالا بان يكون لوروسو قد قتل الرجل فعلا في الجنينة ومن الخير لى ان لا اكون في صحبته ، ولم يكن لوروسو يعرف لقبي بل كان يعرف اسمى الاول فقط وعلى ذلك فاذا القى القبض عليه فلن يكون في وسعه ان يعرفه من انا •

وما اسرع ما قمت بذلك ونهضت ووضعت قدمي على الارض وانحنيت ببطء شديد وأدخلت قدمي في جزمة لوروسو وكنت على

رشك ان اشد شريطها عندما شعرت بضربة عنيفة تصيبني ومن حسن حظي اني تحركت فوقعت الضربة بعد ان مست الاذن على كتفي لقد كان لوروسو هو الذي كال لي هذه الضربة فى الظلام بالته الحديد الملعونة .

واضاع صوابي الم الضربة فقفزت واندفعت نحوه كالاعمى فقبض على صدرى وهو يحاول ان يكيل الي الضربة وايقظ ضجيجنا الخادم وابنيه فاشعلوا الضياء وكنت أصرخ :

ـ ايها القاتل

ولوروسو يئن

ـ ايها اللص

واخذ الاخرون يصرخون ويحاولون فصلنا عن بعضنا ، وهنا حاول لوروسو ان يضرب الخادم بالته فقبض هذا،وكانشرس الطبع يثيره اتفه الامور ، على كرسى وضرب به لوروسو على ام رأسه .

اخذ لوروسو لنفسه وضعا فى نهاية الغرفة اسند ظهره الى الجوار وهو يهز الآلة فى يده ويصيح :

ـ تعال الي لماذا جرؤت .. تعالوا .. سأقتلكم كلكم .. انا « مرعب روما » وكان كالمجنون مرعب الصوت وقد جحظت عيناه .

أما انا فقد خرجت عن طورى من الغضب فى تلك اللحظة بحيث اضطررت الى الصياح بلا تبصر ...

ـ انظروا اليه ، انه قتل انسانا لتوه منذ بضع دقائق قليلة .. انه قاتل .

ولكي اختصر التفاصيل اقول : عندما كنا نحاول القبض على لوروسو وهو يصيح ويصارع كالمجنون ذهب احد ابني الخادم واستدعى الشرطة واستطاعوا ان يعرفوا ما حدث فى الجنينة مرة مني وأخرى منه وقبضوا علينا كلينا .

اخذونا الى مركز الشرطةوكل ما فعلوه انهم اتصلوا تلفونيابجهه ما ثم القوا القبض علينا باعتبار اننا نحن الاثنين قد قمنا بالهجوم فى حدائق « اليورغيز » وقلت ان لوروسو هو الذي فعلذلك وفى هذه المرة — ولعل ذلك يعود الى الكيفية التي صرع بها — لم ينبس ببنت شفة .

وقال حاكم التحقيق :

— ما ابدعكما من اثنين !.. اثنان بديعانحقا .. سرقة باستعمال العنف ، وشروع بالقتل .

ولكن لكي اريكم كم كان لوروسو عديم المسؤولية يكفى ان اقول انه بعد دقيقتين او ثلاث دقائق نهض وهو يتساءل .. ماذا سيكون الغد ؟

وعندما قيل له انه سيكون يوم جمعة فرك يديه ببعضهما وقال :

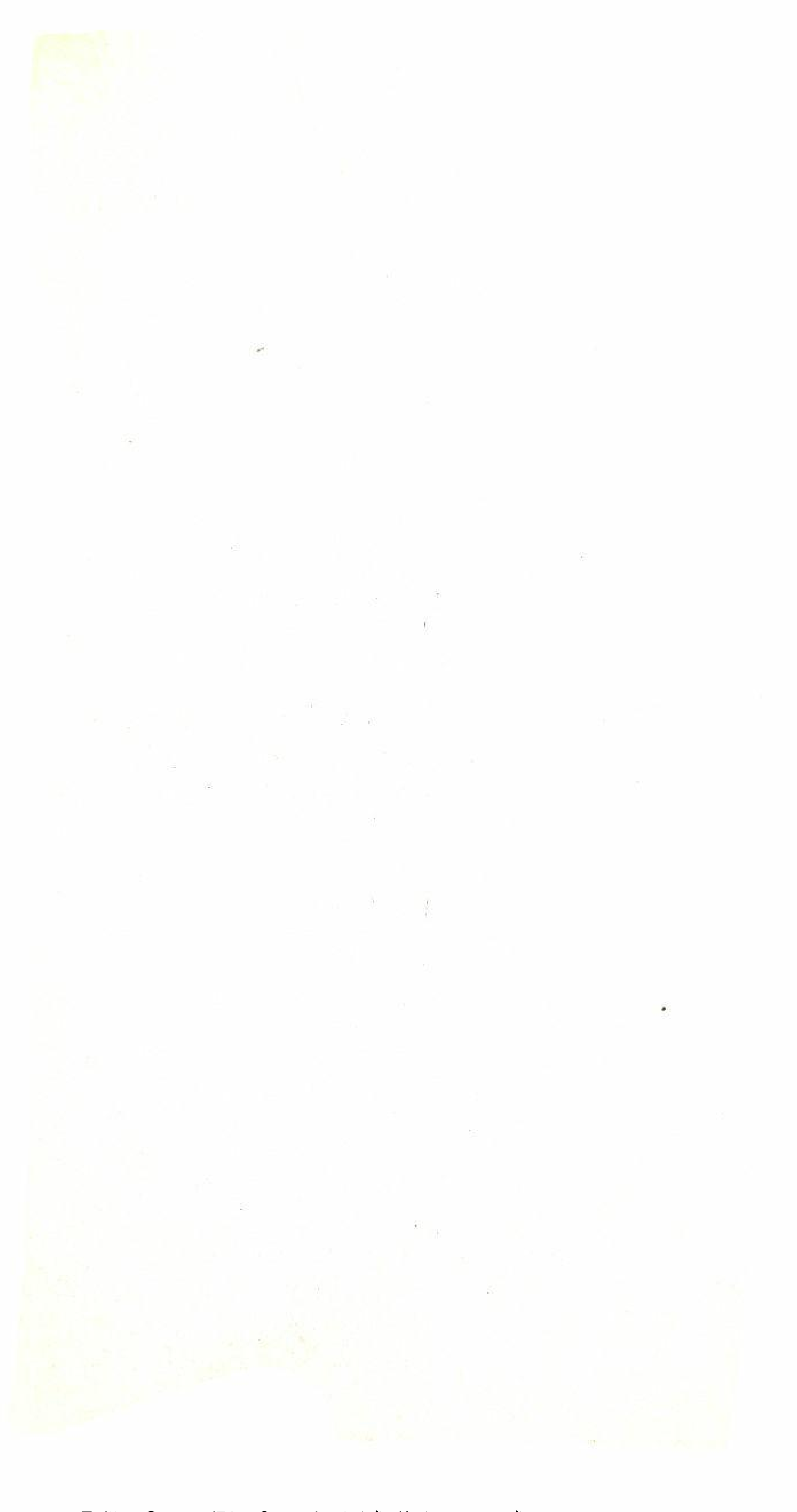
— آه .. هذا شيء حسن .. غدا سيكون فى سجن

— بريجينا كولى — حساء !..

وهكذا عرفت انه ذو سوابق فى حين انه أقسم لى على الدوام انه لم يسجن قط .

وبعد ذلك نظرت الى حذائي ووجدت انني ما زلت لابسا جزمة لوروسو ، وخطر لى آنذاك انني قد نلت ما كنت اريد .

هذه القصة من جملة مختارات عن قصص ـ البطولة ـ المبسطة على الطريقة الامريكية . وقد اختيرت من جانب لجان مختصة فى الموضوع .. ومؤلفها من القصاصين المحدثين الذين يؤمنون بالبساطة فى الاسلوب والمضمون .



عندما أنتقلت جماعة الاطفائية العاشرة التى تقع فى قلب المركز المالي الى مقرها الجديد ألواسع فى شارع بوند عم الحسد جميع رجال الاطفائيات الاخرى ٠

« جماعة كبار » تمتم « براد مورفي » ماسك الانبوب فى جماعة الاطفائية السادسة والعشرين التى تقع قرب محطة الشحن ٠ أنهم يتصورون انهم جماعة كبار وبجوارهم سوق الاسهم يظنون ان عليهم أن يمشوا بخيلاء كرجال المصارف ٠ وحتى كلبهم الحقير يمشي وأنفه فى السماء ٠ أنه احسن من كلاب جماعات الاطفائية الاخرى وهو دلماشي أبقع له نسب أطول من إذراعك ٠

ودخل ــ ستب كالوي ــ سائق سيارة جماعة السادسة والعشرين المناقشة قائلا (طبعا ٠ وهل سمعتم تسميتهم لذلك الكلب ؟ أنهم يسمونه « فالينت الثالث » تصوروا ذلك ! وهم يلصقون عددا عليه كما تفعل بعض الجمعيات فى كلابها فى معارض الكلاب) ٠ (أوه) تمتم « براد مرفي » أراهن على أنهم يعطون ذلك الكلب حماما كل يوم ٠٠ أن كلبا يحمل مثل هذا الاسم لا يمكن ان يتحمل وهو على هذه الدرجة من السمو ، الذباب على جسمه ٠

ولقد كانت السماء تمطر فى الخارج وكان رجال الجماعة السادسة والعشرين يتجمعون حول مكان الانذار وأرجلهم على السياج المطلي ٠ وكان « بن جونسن » يقرأ صفحة الرياضية وردودركان يهوم وذقنه الثقيل يستريح على عقدة ربطته ٠ وكان رجلان من رجال الانابيب فى غرفة الحراسة فى الطابق الثاني يحاولان ، دون نجاح كبير ، تنظيم

لعبـة رامي • وكان الجو دافئا ومريحا فى المكان وكان أمل الجميـع أن لا يخرجهم انذار فى هذه الليلة الرطبة فقد كانت الرياح شـديدة وباردة وكان المطر يتساقط بلا انقطاع على الزجاج • وحاول براد أن يقوم يفتش عن مجلة ولكنه توقف « هل سـمعت هذا ؟ » •

ـ تساءل سـتب ـ وما ذلك ؟ ـ

ـ نوع من أصوات الخدش ـ

لم أسمع أي شيء • لعلها تثلج فى الخارج ـ •

ووجد المجلة وعاد الى كرسيه ولكنه قبل ان يبدأ القراءة وجه رأسه الى جانب وأنصت مليا :

ـ الصوت نفسه • يبدو أن شخصا يقفه أمام الباب ـ

ـ ولماذا لا تذهب وترى من يكون ـ أقترح ستب •

فقام براد ومشى عبر غرفة الانذار وعندما فتح الباب أسـتقبلته عاصفة من الريح والمطر • ولم ير شيئا باديء الامر • ولكنه شعر بعد ذلك بفرشاة ندية تمر على رجله فأطبق الباب ونظر الى الاسفل وكان تحت قدميه أكبر ما رأى من كلاب البول دوك حراسا وبللا •

وصاح سـتب الذى كان يهم بالقيـام ـ أنت • أخرج هـذا الكلب من هنـا ـ •

وانزل بف الجريدة وغدا فمه مفتوحا وقام رود دوركان فجأة وعينـاه تطرفـان • أما البول دوك فقد وجه نظرة حزينة لبراد بينما كانت قطرات من المطر تنزل عبر أنفه كالدموع وكانت أطرافه الخلفيـة ترتعش من البرد ووجهه القبيح ينطوي على نظرة نصفها أمل والنصف الاخر خـوف • وكانت عيناه الواسـعتان المدورتان وكأنهمـا عينا انسان ، كانتا تستعطفان وتطلبان مسة عاطفة •

وانحنى براد وعلى شفتيه الغليظتين ابتسامة وقالوهو يربت على شعر رأس البول دوك المبلل ـ آه أيها المكتنز العجوز • انك تبدو

كأنك تتضور جوعا ماذا دهاك ايها العجوز ؟ لا يريدك احد ؟

فقال ستب ـ أجزم أن لا احد يريده ٠ آخرجه من هنا قبل ان يملأ غرفة الانذار جميعها بالماء ـ ٠

ـ أجاب براد ـ أوه ٠ اهدأ قليلا ، لن يفعل الكلب أي سوء ٠ انه يحتاج الى طعام والى مكان دافىء ينام فيه ولا اظنك مخرجه فى ليلة كهذه ـ ٠

ـ ومن قال أنني لن أفعل ؟ أن لدينا من المشاكل ما يغنينا عن اضافة المزيد منها ٠ انظر الى الخسيس ٠ لم أر كلبا طيلة حياتي أشد سذاجة منه ـ ٠

فأجاب براد ـ ولكنه محارب أيضا ٠ أنظر الى أذنيه ٠ لقد طار نصفهما من على رأسه ٠ لقد خاض مئات المعارك ـ ٠

وكأنما البول دوك قدفهم فقد غرس رجليه القصيرتين الغليظتين فى الارض الزلقة ومد صدره الغليظ كبطل من أبطال الملاكمة وأبرز فكه ٠

فقال براد ضاحكا ـ أنظر الى هذا انه مستعد للنزال الان اذا رغب أحد فى ذلك ـ ٠

فصاح بف وهو يبتعد عن هذا الملاكم الحقيقي ـ لا احد يريد النزال هنا ٠ اخرجه من هنا يا برادقبل ان يقتطع جزءا من رجل شخص٠

فاجات براد ـ اخرجه ٠ يا للعجب ٠ سنحتفظ به هنا بيننا ٠ يا رجال اقدم لكم حارسنا الجديد ستيب الرابع لجماعة الاطفائية السادسة والعشرين ـ ٠

وحتى ستب كالوي رأى شيئا من السخرية فى ذلك ٠ فان لجماعة الاطفائية العاشرة حارسا هو فاينت الثالث ، هو كلب اصيل٠ وتقع جماعة الاطفائية السادسة والعشرين قرب المساكن الحقيرة ، فى الجانب غير الصالح من الطريق ٠ فلماذا لا يكون لها حارس ؟ ولماذا لا تملك بول دوكا شديد المراس كـ (مت) الرابع ذي الاصل المجهول ؟

فأستدارت الابتسامة على شفتي ستب ورد ــ لا بأس يا براد . سنجعل من ستيب الرابع حارسا للنار .وسيكون ذلك مدعاةللضحك عندما يعلم الناس فى آلدائرة . فمن الواجب أن يهزأ احدنا بعض الشيء برجال المطافيء المغرورين فى المحطة العاشرة . لقد غروا كثيرا ببناياتهم الجديدة وبكلبهم الدلماشي الكريـم الاصـــل ــ .

ولم تكن مهمة تدريب مت ألرابع كحارس للنار بالمهمة السهلة . ففي الايام القليلة الاولى عمل ألكلب كل ما لا يستطيع عمله أي كلب حارس فاخر . فقد كان يصعد على أسرة الرجال فى غرفة الحراسـة وكان يضع الانابيب فى صنـدوق الضخ ويرتمي تحت الاقـدام عند التفتيش اليومي وكان يصر على الصعود على كرسي جهاز الانـذار عندما يستدعى رجل من الخفارة . وقد أختفت ، من عينيه ، نظـرة استجداء العطف حالما زود بالغذاء والدفء وأصبح ينظر شـزرا لكل من اعترض على فعلـه ما يشـاء

وبعد ليلتين هز ستب يديه يائسا . ــ عليك أن تتخلص من هذا الشيطان ذي الاربع ارجل المسـطح يا براد . لقـد فتح ثقبـا فى سريري المطاطي ولن تستطيع بأي ثمن أن تشتري أحذية مطاط . وعندما تعقبته بمكنسة هجم علي وجها لوجـه وخيل لي أن دبابة من نـوع جنرال كرانت قد صدمتني . وقد مزق كم قميصي وكنت سعيد الحظ حين لم يقتطـع ذراعـي ــ .

فتوسل براد ــ اعطني يومين آخرين وسأجعله يطيع الاوامرقبل نهايـة الاسـبوع .

فهز ستب رأسه بيأس وقال ــ لن تخضع هذا الحيوان . انه دينـاميت ــ .

ولكن براد لم يسـتسلم . فقد خصص كل فراغه لمت الرابـع محاولا ان يعلمه القواعد التي يجب ان يعلمها كل كلب حارس للنار.

قد بلغ به الامر أن زار جماعة الاطفائية العاشرة في بنايتهم الجديدة المتألقة عله أن يستفيد من تجارب فالينت الثالث .

وكان رجال العاشرة مسرورين أن يظهروا جبل فالينت الثالث . فقد كان يقف باستعداد عندما يؤمر وجسده يرتجف واذناه الدقيقتان مرهفان وذنبه الطويل يشير بدقة الى خلفه . وكـان يصعد السلالم لمايك ويقفز الى شبكة الخلاص ويرتدي قناع الدخان وعندما تعرض تحت قدميه جريدة محترقة يطفيء النار بمخالبه .

وكان فالينت الثالث كلب حريق كما يجب ربي على أحسن طريقة عرفتها الدائرة وكان نشيطا وسهل الاستجابة وكان الذكاء يشـع من عينيه الباهتتين وكان يتنقل بطريقة واثقة غير متكلفة تدل على أصله العتيـد .

وقد قال أحد رجال الاطفائية فخورا ـ لاحظ شكل رأسـه . لاحظ النقط الواضحةالتي لا يتداخل بعضها مع بعض.واذا كان هناك كلب أصيل فهو هذا . أن أصله يمتد الى ايام كرمول . وهو نسب طويل مجيد . اتحب أن ترى اصله ؟ ـ

فهز براد رأسه . لقد رأى ما فيه الكفاية . ولقد شعر بشيء من الخيبة وهو يعود عبر محطات الشحن الى مقر الجماعة السـادسـة والعشرين القاتم . ان مت الرابع محارب قديم غير مهذب منمحاربي الازقة ينقصه تماما حسن الاخلاق بينما يملك فالينت الثالث الوقـار والثقة ولم يكن هناك أي أسـاس للمقارنة بين الكلبين . فقد كانـا مختلفين اختلاف صندوق القاذورات عن يخت جميل حسنالترتيب.

وعندما وصل براد بناية الاطفائية كانمت الرابع يقفزعلىالمنزلق أمام غرفة الاجهزة . وكان فكه الكبير ممتدا وفمه الواسع يتدلى قبالة القادمين . وكانت اذناه المتهريتان قد انتصبتا في زاويةغريبة .وكانت لذيله القصير الغليظ التواءة كأنما كان سببها حذاء قد أحسن وضعه .

وقد وقف براد ويداه على فخذيه يتأمل الكلب • وكانت أبتسامة خفيفة تظلل شفتيه • ثم قال وهو يحاول أن يفرك أذني مت التى تبدو عليها الندوب ــ أيها الكلب العجوز الحانق • أنك لن تحصل أبدا على كأس من كؤوس الاعجاب • لكني لن أستبدلك بفالينت الثالث رغم أصله •

ولقد انتصر الصبر اخيرا فى محاولة تدريب مت: الصبرواعتقاد براد غير المتزعزع بأن الشجاعة النفسية أهم من الاوسمة فى مكافحة النيران •

ولقد تعلم مت ان يصعد السلم ولو ان رجليه القصيرتين جعلتاه يبدو مرتبكا • وكان براد يأخذه الى برج التدريب وقد أصبح ، خلال اسبوعين ، يقفز أربع طوابق الى شبكة النجاة • وقد تعلم أن يقف على استعداد ساعة التعداد وأن يبتعد عن غرفة الحراسة • وعلمه براد أيضا أن يقفز الى صندوق الخراطيم عند أول صوت للناقوس وأن يركب سيارة الحريق ذات السبعة أطنان عند جريها استجابة لانذار الحريق •

وقد أعترف ستب نفسه بأن مت الرابع يتعلم بسرعة • وحدث بعد ذلك حريق مخازن شاروك خلال الانذار الليلي • وقد دقت الاجراس فى الساعة ٠٥/٢ وبعد ذلك بثلاثين ثانية كانت جماعة ٢٦ تسرع فى المنزلق وتدوي خلال المنطقة الصناعية نحو بقعة متزايدة من اللون الاحمر القاني تتصاعد صوب السماء الداكنة •

وقد ركب مت الرابع تحت الخرطوم وقد ثبتت قدماه فى مؤخرة كرسى السائق وكان عواؤه الحاد المتقطع يواكب اصوات النواقيس المحمومة وعويل الصفارات •

وقد ابتسم براد مرفي ، وهو يركب مع شخص أخر الصق فى الصندوق ، لقد أصبح مت الرابع كلب حريق كما يجب • كان جسمه يهتز انفعالا • وكان يوجه النظرات العجلى نحو براد بينما كان ذيله القصير الغليظ يتحرك ترقبا للعمل المنتظر •

وقد فعل مت الرابع فى هذا الحريق بالذات أول خطأ جسيم • فقد استدعى الانذار سيارات الضخ وسـيارات السلالم وسـيارات السطوح من ثلاث مراكز كان من بينهما الجماعة العاشرة من المحطة الفخمة الجديدة فى شارع بوند ومعها حارسها فالينت الثالث •

وقد جمع أحد الرؤساء الجماعة العاشرة والجماعة السادسـة والعشرين وأوصلهما بالمضخات فى أحد الطوابق • وبينما كان الرجال يجربون السـلالم قفز مت الرابـع وفالينت الثالث الى الرصيف فى نفس الوقت تقريبـا •

وقد واجه الكبان ، للحظات ، بعضهما والشك يتطاير من عيونهما وبعد ذلك توجه فالينت ألثالث الى مضخة جماعته وهو يخطو بفخر ورأسه الى السماء • ولا بد ان الاحتقار الذي ابداه نحو مت الرابع قد أثار غيضا شديدا فى نفس حارس الجماعة السادسة والعشرين فقد نخر (مت) بضراوة وجرى نحو الكلب الدالماشى واسنانه عارية •

وقد ضرب مت فالينت الثالث ضربة أشـبه بضربـة ألجرارات واحتجزت أسنانه رجل الدالماشي الرقيقة • وقد تدهور الدالماشي فى الطين وهو يصيح ألما وكان الكلبان لبعض لحظات قطعة من الارجل والاذناب والشعور المتطايرة • ولا بد ان مت قد فك من قبضته لثانية واحدة كي يفتش عن قطعة أطرى لأن فالينت الثالث ، فى تلك اللحظة الخـاطفة قد فك اسـاره وجرى كلمح البصر فى الشـراع ويصيح كأنـه دئب خائفه •

وقد تقدم مت الرابع بضع خطوات بتردد نحو الكلب الهـارب وعاد ، بعد أن توضح له عدم جدوى ملاحقة الدالماشي السريع ، يخطو بخيلاء نحو الجماعة السادسة والعشـرين كأنه مصارع قد ألقى لتوه خصمه خارج السـاحة •

وقد تقدم رئيس الجماعة العاشرة ، الذي رأى بنفسه المعركـة ،

نحو مت الرابع وهو يتميز من الحنق • وقد أستدار قدمه بشكل ضربة قوية ولكن مت الرابع كان أسرع منه وعندما أخطأت القدم هجم مت وتعلقت أسنانه بجزمة الضابط الثقيلة وجعله يترنح • وقد جرى براد لنجدة الرئيس وجذب مت منه بينما كان رئيس أخر يجري نحو المشهد • وقد صاح هذا الاخير ـ كلب من هذا ؟ ـ •

فأجاب براد وهو يمسك مت الرابع بينما كان يحاول مهاجمة الرئيس ـ أنه حارس الجماعة السادسة والعشرين •

ـ طيب • أخرجه من هنا • أربطه • أتعتقد اننا فى مركس • ان لدينا عملا تقوم به • امض الى عملك •

فأجاب براد وهو يجذب مت نحو سيارة ضخ جماعة ٢٦ ـ نعم ياسيدي ـ •

وبينما كان الرجال يعملون فىاطفاء الحريق بقى مت مربوطابسياج سيارة ضخ ٢٦ • وكانت هذه طريقة مهينة لكلب حريق أن يخدم فيها وبدا ان مت بنظرته الكاسفة قد شعر بالخجل •

وخشى براد أسوء النتائج وحمل اليوم التالى أساسا لمخاوفه • فقد وردت من المقر العام رسالة موقعة من الرئيس الذى شاهد الواقعة يطلب فيها من الجماعة السادسة والعشرين أن تتخلص من حارسها •

وحمل براد الرسالة المطبوعة الى غرفة الاجهزة حيث كان مت الرابع يهوم من على مشمع وقال وهو يمسك أذني مت ـ أظن أنك لم تخلق لخدمة الحرائق ايها العجوز • يقول كبير الرؤساء أن عليك أن تخرج من الباب الخلفي بهذه الطريقةفوا أسفا ولكن يبدو انكلا تملك الاصل الذى يناسب هذه الخدمة ـ •

وبدا ان مت قد فهم الامر فقد وضع فكه الكبير بين قدميه الغليظتين ونظر الى براد متوسلا • ووجد براد مكانا لمت فى مكان لبيع التحفيات خلف محطة الحريق • وكان المالك سعيدا بأن يحصل على

كلب وقد ربط مت فى المكان كي يخيف اللصوص • ولكن لم تكن لمت رغبة فى مكانه الجديد • وقد بدا حزبنا كسير القلب حتى عندما كان براد يجلب له العظام المنتقاة من مطبخ المحطة • وكان الخنوع التــام يشح من وجهه وبدا كأنه رجل من رجال الاطفائية جرد من اوسمته لفشله فى القيــام بالواجب • ولكن براد نسى كل شيء عن مت الرابع فى الليلة التي احترقت فيها بناية البداية •

لقد كان ذلك حريقا ! فقد بدأ من الطابق السادس بسبب عطب فى الاسلاك وأمتد الى بناية شركة من شركات بيع الادوية بالجملة قبل أن يعطى الانذار • عندما أتت اولى جماعات الحريق كان الحريق قد أمتد الى الطابقين الخامس والسادس • كان يبدو من الزجاج المتساقط والحريق المتصاعد أن البناية برمتها ستفنى •

وكانت الجماعة السادسة والعشرون خامس جماعة تصل وقد جرت سيارة ضخها الى خرطوم فى نفس بنـــاية البــداية وكـــان صوت صفارتها يتلاشـــى كالانين • وقد قفز الرجال من الســـلالم كي يبدأوا العمل وفى ثلاث دقائق اوصلوا الخراطيم ومدوا السلالم ووصلوا سقفه بناية مجاورة • وقد أخذت سيارة الهوائيات مكانها وأمتدت الاعمدة الدقيقة الى السماء المملوءة دخانا •

وقد اتخذت الجماعة السادسة والعشرون مكانها على السلم وكان براد مرفي وستب كالوي يقودان الطريق والرجال الاخرون يتبعونهما •

وفى الانذار الثاني وصلت عشر سيارات ضخ وثلاثة أبراج للماء وست سيارات سلالم وأجهزة خمس جماعات وكانت سيارات الضخ الاخرى فى طريقها من الضواحي •

وبعد ساعتين من استلام الانذار كان الرجال يكافحون النيران وهي ابعد ما تكون من الانطفاء •

وقد أخذت الجماعة السادسة والعشرين مكانها فوق سطح يشرف

على الجانب الحلفي من البناية المحترقة وكان براد يقبض على ناصيه الخرطوم يساعده ستب فى تقديم المجرى • وكان المكان شديد الحرارة ولكنه مهم جدا • وكانوا يصبون ألفه غالون من الماء فى الدقيقة على الطوابق الخمسة المشتعلة ولكن ما ان يطفئوا طابقا حتى تشتعل النار بطـابق أخـر •

وقد رأى براد مكانه الجماعة العاشرة واحد الروءساء يصعدون الى الطابق الرابع • وقد أخذ هوءلاء مكانهم فى مدخل المصعده وكان المكان امينا الا اذا انهارت المقومات فسيكون عندئذ مصيدة موت • وقد رأى براد جلد فالينث الثالث الابيض المرقط يصعـد السـلم خلف ألرجال • وقد أختفى الكلب فى النافذة المفعمة بالدخان •

وفكر براد « كرجال المطافىء تماما » • وقد اعتقد بانه كـان مخطئا حين قرر ان يجعل من مت كلب حـريق • فلـم يكـن مت من ذلك النوع • فان ذلك يقتضى كلبا سريعا نشيطا وكـان الكلب ألدالماشي خير من يصلح لهذا العمل • فكرامة المحتد ضرورية هنا •

وقد القى براد نظرة على سطح البناية المنبسط كي يتأكدمن وجود مخرج للهروب وفى تلك اللحظة رأى شيئا اسود قصيرا يعبر خـلال الدخان ألذى غمر الواجهة المسودة • فخطف عيقيه ووكز سبت •

« اترى ما ارى » ؟

فاجات ستيب « ماذا ؟ »

ولكـن لم يعد هناك شك فى الامر • فقد كان مت الرابع يقفـز تحت اقدامهما وهو ينبح بانفعال وبقية الحبل المتقطع لا تزال تتدلى من رقبتيه •

وقال براد « انه ذلك الكلب المجنون • لقد سـمع الصفـارأت وانطلق الدخـان » •

« ولكن كيف وجدنا »

وصاح براد « لقد وجد الماكينة ٢٦ وتبعنا الى هنـا • ربمـا ان الرابع ليس اخرس كما يبدو » •

ولم يكن لبراد ستيب وقت للاهتمام بمت الرابع • ففي تلك حظة حدث انفجار هز أسس البناية المحترقة وكسر زجاج الطـوابق لاثة الاولى والقى بالسلالم الى الارض• وكان دخان جديديتصاعد النوافـذ وغيوم كبيرة تطلع الى الخارج كأنها حمم حـار مـن كان •

وقد فتشت عينا براد عـن النافذة التي دخلت منها الجماعـة عاشرة فرأى الرئيس بصداره الابيض فى المدخل • وكان السلم قـد ختفى • والمكان يعلو اربعة طوابق عـن الارض واحتمال أن تجدهم رقـة انقـاذ بعيـد

وكان براد يفكر بعجل وقد ألقى نظرة على مت الرابع الرابع الذى كان ينبح ويقفز بلا مبالاة قرب حافة السطح ثم جرى نحو الحافـة والقى نظرة الى الاسفل حيث كان هناك افريـز يواكب البنـايتين فى ستوى الطابق الرابع •

وصاح براد « ستيب • خذ هذا الانبوب • علي ان اعطى طريقا هؤلاء الرجال » •

واجاب ستيب « ولكن كيف ستفعل ذلك ؟ »

ولم يكترث براد بان يجيب بل جرى نحو السلم وصـاح على مهندس فى سيارة الضخ ٢٦ •

« ثمانين قدما من الحبال • عجل ! »

واخرج المهندس لفة من حبال الجهاز واسرع فى السلم لايصالها •

وجرى براد على السقف وهو ينادى مت فى جريه .

وانحنى براد ولف الحبل بدقة حول ارجل مت الاماميه وحول صدره الغليظ كاللجام . وكان براد اثناء ذلك يهمس فى اذن الكلب.

وتمتم براد « انك ذاهب لنزهة قصيرة يا مت وكلاب الحريق وحدها تستطيع ان تقوم بهذه اللعبة . انك لست بذى الاصل العتيد ايها العجوز ولكنك تملك اعصابا قوية . هل انت مستعد ؟ »

وكان مت يشد على الحبل وقد جرى نحو حافة السقف مع براد .

وقال براد وهو يشير بيده «هل ترى الافريز الى الاسفل.ستذهب الى هناك » ونظر مت الى براد كأنه قد فهم .

« عندما تصل الى هناك امش حذاء ذلك الافريز واستمر حتى تصل الى رجل الاطفائية هناك . افاهم انت ؟ »

وانزل براد الكلب وسط الدخان والنار وكان مت ماهرا كأحد المجربين وعندما حاذى الافريز بدأ براد يدفعه نحو النتوء الضيق . وقد فهم مت ما يطلب منه وحاول ثلاث مرات ان يجد له طريقا قرب الافريز المنحدر . وقد نجح فى المرة الرابعة .وصاح براد خلال الدخان حسنا. استمر يامت »

وقد مشى الكلب بحذر نحو النافذة التي كان فيها رئيس الجماعة وانتظر رجال جماعة الفرقة العاشرة بترقب وكانت النار تجرى حوله من النوافذ المهشمة والدخان الخانق يدوى حوله ولكن مت لم يتردد لحظة ولم يلتفت الى الوراء قط .

وعندما كاد ان يصل الى رئيس الجماعة زلت قدمه من السياج ذى الطين المحروق واستدار بشكل قوس كبير خلال الدخان الاسود

...وجر براد الحبل وجلبه الى حيث بدأ وبتصميم جديد بدأ محاولته
في محاذاة الافريز الضيق • وكان خطوه هذه المرة مطمئنا ووصل الى
النافذة •

ثم امسكته الايدي المشوقة • وانفك الحبل بعد ذلك على عجل •
ثم رأى براد الرجال يسحبون مت داخل البناية • وعندما هز رئيس
الجماعة خوذته مشيرا بان نهاية الحبل عنده محكمة ترك براد النهاية
التي قبض عليها تقع على الارض • وكان ذلك حبل نجاة
نافذة فى الطابق الرابع الى الساحة السفلى •

وقد نزل الرجال واحدا تلو الاخر على الحبل • وكان براد يعدهم
وعندما نزل آخرهم كان قلب براد فى حنجرته من الفزع • لقد تركوا مت
الرابع خلفهم ونسوا فالينت الثالث حارس الجماعة العاشرة ايضا • لقد
فكر رجال الاطفائية فى انفسهم فقط •

وبدأ براد يتمتم « هؤلاء الوضيعون » ثم رأى منظرا غريبا •
لقد كان الكلب الذي سخمه الدخان يصارع فى حافة النافذة وعندما
خف الدخان رأى شيئا ابيض الى جانب مت • انه فالينت الثالث
وقد عض مت بأسنانه الصلبة قيد الكلب • وكان مت ينظر الى
الاسفل مترقبا •

وصاح براد «انت فى الاسفل • احضر شبكة نجاة على عجل !»
وسمع رئيس الجماعة وأصدر أمرا وعاد الرجال مسرعين من سيارة
السلالم يحملون شبكة نجاة • وعندما فرشت فرك براد يديه
وصاح علي مت « طيب ايها الولد اقفز ! »

وشد مت على القيد الذي امسكه باسنانه ولاول مرة ادرك
براد أن فالينت الثالث كان فاقد الشعور من جراء الدخان •

واستطاع مت بطريقة ما ان يجذب الكلب الى حافة النافذة وهويا
يتقلبان وسط الدخان حيث وصلا الشبكة •

ونزع براد خوذته ومسح جبينه المبتل عرقا بكمه • وترك ذلك اثرا من سواد الدخان على عينيه ولكنه كان يبتسم وهو يستدير نحو ستيب •

وتمتم براد « ان هذا يصلح للمكتب • قد لا يملك مت الرابع الاصـل ألعتيد ولكنه أصيل من نهاية ذنبه المعوج حتى اذنيه ذوات الندوب • وسيكون مع ماكينة ٢٦ عندما نجيب انذارنا الثاني » •

« كارسون ماكللرز » اديبة امريكية بلغت الذروة في نظر بعض النقاد الادبيين وعدها كثير منهم اخر ـ الجيـــل الكبير ـ مـــن الادب الامريكى الحديث ، وقال عنها اخرون انها بمقام « تولستوى » فى الادب الامريكي .

وتعد قصتها هذه ارقى نماذج الادب الذي يمثـــل النزعـــة الانسانيـــة الطوبائية ، وفى مقدمـة القصص الشعري العالمى .

وبالاضافة الى قصصها المتازة العديدة كتبت «ماكلرز» روايات طليمة كان اخر ما دخل منها الى شاشة السينما روايتهـــا « القلب الكسير » التى تدور حول شاب اخرس .

وقد توفيت هذه الكاتبة الكبيرة فى اواخر سنة ١٩٦٨ .

كانت السماء فى ذلك الصباح ماطرة وما زالت مظلمة جـداً •
عندما وصل الغلام الى مقهى الشارع كان قد اوشك ان يتم دورته
كاملة ، فدخل ليتناول كوبا من القهوة • وكان المحل الذي دخله
بعد الملاهي التي تفتح طيلة الليل يملكه رجل قـذر صـارم يـدعى
« ليـو » •

وقد بدا المقهى – بعـد الشارع المقفر الفج – مؤنسا براقا •
وكان على سدة الباب جنديان وثلاثة من عمال معمـل النسـيج
القطني • وفي احدى الزوايا جلس رجل منكب على كأس كبيرة مـن
الجعة وقد غطى الكأس نصف وجهه وانفه •

وكان الغلام يرتدى قلنسوة كتلك التي يرتديهـا الطيـارون •
فأرخى عند دخوله رباطها من جهة الفك ، ورفع الجزء الايمن فـوق
اذنه الصغيرة • وكان غالبا ما يحدثه احدهم حين يتناول قهوته حديث
الاصدقاء •• ولكن « ليو » لم يرفع رأسـه فى ذلك الصبـاح • ولم
يكن هناك بين الموجودين من يتحدث ، فدفع الثمن وكان على وشك
مغادرة المقهى عندما ارتفع صوت ينادي :

– يا بني •• تعال هنا •

فالتفت الغلام الى الخلف • وكـان الرجل الجالس فى الزاوية
يشير اليه باصبعه ويهز له برأسه وقـد رفعه توا عن كأس الجعـة
الكبير ، وبدت السعادة فجأة على سيمائه •

وكان طويلا ممتقع اللون ذا انف كبير وشعر برتقالي فاتح •

– الى هنا •• يابني !

واتجه الغلام نحوه • وكان ضئيل الجسم فى الثانية عشرة من عمره ،
ارتفع احد كتفيه عـن الآخر تحت وطأة حزمة الصحف • وكـان فى
وجهه نمش وعيناه مدورتان كعيون الاطفال •

– نعم ايها السيد •

ووضع الرجل احدى يديه على كتف بائع الصحف وقبض بالاخرى على ذقنه يدير رأسه ببطء من ناحية لاخرى • فارتد الغلام الى الوراء مذعورا وهو يقول :

ـ قل لي ماذا يدور بخلدك !

وكان صوته حادا فى السكون الذي يسود المقهى • فقال الرجل ببطء :

ـ اني احبك !

وضحك الموجودون على سدة البار كلهم • ولم يدر الصبي ، الذي تجهم وجهه وانسحب كالمذعور ، ماذا يفعل • ودار مرة على سدة البار نحو « ليو » وكان هذا ينظر اليه باستخفاف ممزوج بالضيق •

وحاول الصبي ان يضحك هو الاخر ، غير ان الرجل كان جادا ومثاليا فى آن •

وقال الرجل :

ـ لم اكن اريد ان اضاحكك يا بني • اجلس وخذلك كأسا من الجعة معي ، فهناك ما اريد ن اشرحه لك •

وبنظرة حذرة من طرف عينه الى الرجال الموجودين على سدة البار متسائلا عما يجب ان يصنع ، غير انهم كانوا قد عادوا ألى شرابهم او فطورهم ولم يأبهوا له • ووضع «ليو» قدحا من القهوة على طرف البار مع وعاء صغير من القشدة وقال :

ـ انه لم يبلغ سن الرشد بعد !

وصعد الصبي بخفة الى المقعد الطويل أمام البار • وكانت أذنه تحت حاشية القلنسوة المقلوبة شديدة الصغر والحمرة • وكان الرجل يهز رأسه له بأناة وهو يقول :

ـ انه لامر مهم •

ثم تناول محفظته من جيبـه الخلفي ووضعها فى راحـة يده امام الغلام ليراها وهو يقول :

ـ أنظر بكل دقـة •

وحملق الصبي ولم يكن هناك ما يرى بدقة كبيرة •وكان الرجل يحمل فى راحته القذرة صورة فوتوغرافية فيها وجه ملوث لامرأة لم يبـد واضحا فيه سوى القبعة والبدلة التي ترتديها • وقال الرجل متسـائلا :

ـ ارأيت ؟

فاومأ الصبي برأسه مجيبا • ووضع الرجل صورا اخرى فى راحة يده • وكانت المرآة فى هذه الصورة على (بلاج) فى ثوب استحمام ، وقد بدت بطنها بارزةمن الثوب ، وكان ذلك كل ما لاحظه من الصورة•

ـ هل رأيتها جيدا ؟

ثم زاد انحناؤه وقال متسـائلا ؟

ـ هل رأيتها من قبل قط ؟

فجلس الصبي بلا حراك وهو ينظر بطرف عينه الى الرجل وقال :

ـ كلا ••• حسـب علمي •

ـ حسـن جـدا •

وطوي الصورتين وأعادهما الى جيبـه

ـ انها زوجتـي •

فسـأله الصبي :

ـ وهل ماتت ؟

وهز الرجل رأسـه ببطء • وزم شـفتيه كأنه يريد أن يصفر ، وأجاب بتردد شديد !

ـ كل ••• لا ••• سوف أشرح لك ذلك •

وكانت الجعة على سدة البار أمام الرجل فى كأس كبيرة رمادية

اللون • ولم يرفعها الى فمه ليشرب منها بل خفض رأسه حتى وصل فمه الى حافة الكأس واستقر قليلا هناك • ثم قبض بكلتا يديه على الكأس وارتشف منها :

وقال « ليــو » :

ــ ستنام فى احدى الليالي وأنفك الكبير فى كوز الجعـة ثم تعزف ذلك العزف المشهور عنها •• وعند ذلك سيكون موتك العتيد •

وحاول الغلام أن يشـير بيده الى « ليو » ولما لم يكن هــذا ينظر اليه فقدزم شفتيه لكي يتساءل دون صوت مسموع ؟

ــ مخمــور ؟

ولكن « ليو » رفع حاجبيه ثم وجهه لكي يضع بعض قطع لحم « الباكون » الاحمر فى المقلاة • ورفع الرجل بكأس الجعة الكبير عنه • واعتدل وهو يشبك يديه الملتويتين على سدة البار • وكان وجهـه حزينا وهو ينظر الى صبي الجرائد • ولم تطرف عينه ولكن أجفانـه كانت تسـقط بين آونة وأخرى على عينيـه الخضراوين الغامضتين • وكان الوقت يقارب الفجر • وحول الصبي رزمـة الجرائد من محل لاخر وقال الرجل:

ــ اني أتحدث عن الحب • انه عندي علم من العلوم •

كان الصبي قد انحدر نصف انحدار من كرسي البار الطويل• ولكن الرجل رفع سبابته ، وكان مافيه جعل الصبي يتوقف عن الذهاب•

ــ قبل اثنى عشـر عاما تزوجت هذه المرأة صاحبـة الصورة • وظلت زوجة لي سنة واحدة ••• تسعة أشهر وثلاثة أيام وليلتين ••• أحبها ؟ •• نعم • (وهنا أحكم صوته التائه وقال ثانية) :

ــ لقد أحببتها •• وكنت أظن أنها احبتني • كنت مهندس سكك• وقد هيئات لها جميع اسـباب الراحة والرفاه فى البيت • ولم يـدر بخلدي قط أنها لم تكن راضية • ولكن أتدري ماذا حدث ؟ ••

وهنا أطلق « ليو » كلمة استهزاء غير مفهومة من فمه • ولم يرفع الرجل نظره عن وجه الصبي •

ـ لقد تركتني •• عدت ذات ليلة فوجدت البيت خاليا •• لقد ذهبت •• هجرتني •

فسـألـه الصبي :

ـ مـع رجل ؟

ووضع الرجل راحتيه بلطف على سدة البار •

ـ بالطبع يابني • ان المرأة لا تهرب هكذا وتكون منفردة •

كان المقهى هادئا ، والمطر دقيقا أسود لا نهاية له في الشارع خارجه •

وضغط « ليو » على اللحم المقلـى باطلاع شـوكته الطويلـة وهو يقـول :

ـ اذن فقد كنت تلاحقها أحد عشر عاما أيها الوغد العجوز !

وللمرة الاولى حدق الرجل في وجه « ليو » وهو يقول :

ـ أرجوك أن لا تكون عاميا • ثم اني لم أوجه الكلام اليك •

والتفت الى الصبي وقال بصوت خافت يحمل طابع الثقة والسرار :

ـ دعنا لا نأبه له مطلقـا • ما رأيك ؟

وهز الصبي برأسه هزة موافقة يشوبها الشك • واستمر الرجل في الحـديث :

ـ كان الامر هكذا • اني رجل كثير الاحساس بالامور • وقد اثر علي في حياتي امر بعد آخر •• ضوء القمر •• ساق فتاة جيلة•• شيء بعد آخر •• ولكن النقطة المهمة هي أني عندما أقتنع بأمر يغمرني شعور غريب يحيط بي من جميع أطرافي فيبدو لي كأنه ليس هناك أمر آخر تام أو شيء سيتم •• النساء ؟ لقد نلت حظي منهن • ولكن الشيء نفسه يحدث • شعور بالتفكك حولي • اني رجل لم يحب قط •

وأطبق جفنيه ببطء شديد • وكان ذلك أشبه بحركة الستارة

التى تسدل بعد نهاية كل فصل من المسرحيات التمثيلية • وعندما تكلم ثانية كان صوته متهدجا ، وخرجت الكلمات بسرعة وبدا كأن أرنبة اذنيه المتهطلتين تضطربان !

ــ ثم لقيت هذه المرأة • كنت فى الحادية والخمسين من عمري وكانت على الدوام تقول انها فى الثلاثين من عمرها • تلاقينا فى محطة بنزين وتزوجنا خلال ثلاثة أيام • وهل تدري كيف كان ذلك ؟ اني بكل بساطة لا أستطيع شرحه • كل ما كنت احس به من مشاعر تجمع حول هذه المرأة ، ولم يبق من التفكك السابق شيء • لقد قضت هذه المرأة على كل ما كان موجودا فى •

وتوقف الرجل فجأة ومر بيده على انفه الطويل وخفت صوته وصار منخفضا هادئا يحمل طابع التأنيب وهو يقول :

ــ اني لا أوضح الامور كما ينبغي • ان ما حدث هو هذا ، كانت هناك بعض المشاعر الجميلة واللذائذ الصغيرة المنطلقة فى كياني فصارت هذه المرأة كخط التجمع لروحي ، وأخذت أدير هذه المقطوعات الصغيرة فى نفسى بواسطتها فاصير بعدها كلا تاما •

والان •• هل فهمتني ؟

فسأله الصبي :

ــ وماذا كان اسمها ؟

ــ أوه •• كنت أسميها « دودو » • ولكن ذلك لا يهم •

ــ هل حاولت أن تعيدها الى البيت مرة أخرى ؟

وبدا أن الرجل لم يسمع • وكان يردد : فى هذه الظروف يمكنك أن تتصور شعوري عندما هجرتني •

وأخذ « ليو » قطعة لحم (الباكون) من المقلاة ووضع شريحتين فى كعكة • كان وجهه الرمادى ذا عينين طولانيتين ، وانفه افطس تعلوه اخيلة سمائية •

وأشار أحد عمال النســيج طالبا المزيد من القهوة فصبها • ان
ليو) لا يعطي المزيد من القهوة مجانا • وعامل النسيج يتناول فطوره
هناك كل صباح • ولكن « ليو » يزداد فظاظة مع عملائه كلما زادت
معرفتــه لهم • وأخذ يقرضم كعكتــه الخاصة كأنه كان يراهـــا فوق
ما يســـــتحق •

ـ ولم تستطع قط أن تراها مرة أخرى ؟

ولم يدر الصبي ماذا يفعل بهذا الرجل • فكان وجهه الصبياني
يطفح بالحيرة المشوبة بحب الاستطلاع والتشكك • وكان حديث عهد
بخط توزيع الصحف ، فكان غريبا عليه أن يطوف فى المدينة فى باكر
الصبــاح الاســـــود •

وقال الرجـــل :

ـ لقد اتخذت عددا من الخطوات فى سبيل استعادتها ، وطفت
البلاد فى محاولة التثبت من مكانها ، فذهبت الى « تنسا » حيث لها
بعض الاقارب ، والى « حوبايل » •• ذهبت الى كل رجل كانت تتصل
به من قبل •• تلسا •• اتلنتا •• شيكـــــاغو •• شيهان • منفيس
ركضت وراءها قرابة عامين وأنا أدور حول البلاد محاولا أن امسك
بهــا •

فقال « ليو » :

ـ ولكن الاثنين غابا عن وجه الارض •

فقال الرجل وهو يســـار الصبي :

ـ لا تصغ اليه • وانس هاتين السنتين أيضا • فلا أهمية لهما •
المهم هو ان شيئا غريبا بدأ يحل بي من مطلع السنة الثالثـــة •

فقال الصبـــي :

ـ ومـــا هـــو ؟

وهنا اتكأ الرجل وارتشف رشفة من كأس الجعة الكبير ، ولكنه

حين حوم فوق كأســه ارتجفت ارنبتا انفــه قليلا ، فقد شم رائحة الجعة البائخة فلم يشرب منها .

ــ ان الحب شيء غريب فى بدايته . فقد كنت أول الامر أفكر فى استعادتها فقط ، فكان ذلك اشبه بالجنون . ولكن بعد أن مر الوقت حاولت أن أتذكرها .. ولكن اتدري ماذا حصــل ؟

فقال الصبـي :

ــ كـلا .

ــ عندما كنت أنام فى فراشي وأحاول التفكير فيها يصبح ذهني فارغا تماما . لم أعد اراها . كنت آخذ صورها واتطلع فيهن . ولكن لا فائدة من ذلك .. فراغ .. هل تستطيع ان تتخيل هذا ؟

فصاح « ليو » من على ســدة البار :

ــ قل لي يا « مــاك » هل تســـتطيع أن تتخيل دماغ هــذا المــأفون خاليـــا ؟

وحرك الرجل يده ببطء كأنه كان يطرد الذباب عن وجهه . وكانت عيناه الزرقاوان قد تركزتا بثبات على الوجــه الضحل الصغير لصبي الجرائــد .

ــ ولكن وقوع قطعة من الزجاج فى الطريق أو أغنية من صندوق الاغاني التى تدار بالقروش .. مرور خيال على حائط فى الليل ... هنا تعود الذكرى . وقــد يقع ذلك فى الشــارع ، وعندها اصرخ وأرطم رأسي فى عمود الكهرباء .. هل فهمت ؟

فقال الصبي :

ــ قطعـــة زجـاج ؟

ــ أي شيء .. يجعلني أدور وقد فقدت القوة فى كيفية تذكري لها ووقته . انت لا تستطيع ان تحصن نفسك بدرع ،ولكن الذكرى لا تأتي الانسان مواجهة ، بل هي تتخبأ فى الزوايا .. لقد كنت تحت

رحمة أي شيء أراه أو اسمعه . وعلى حين غرة اصبحت ـ بدلا من تنشيط القطر بحثا عنها ـ تطبق على روحي ذاتها اطياف (هي) تطاردني (أنا) .. أرأيت ؟ وفى روحي انا ..

فسأله الصبي اخيرا :

ـ وفى أي جزء من البلاد كنت آنذاك ؟

ـ أوه .. لقد كنت انسانا مريضا . فقد اصابني شيء يشبه الجدري . وأقول لك الحق يابني أنني تدهورت ..ففسقت وارتكبت جميع الاثام التي كانت تبدو لي مغرية . ومن القذارة ان اعترف لك بذلك ولكنني أفعله . وعندما أتذكر تلك الفترة يقشعر بدني ... لقد كانت فترة مريعة .

آطرق الرجل برأسه ، وضرب سدة البار بسبابته ، وظل لحظات على ذلك الوضع ، وقد غطى الشعر الشائك الاصفر رقبته ،وتشابكت يداه باصابعهما الطويلة المعروقة راحة لراحة كأنه يصلي ، ثم اعتدل فى مجلسه وانطلق وجهه مبتسما ، وأصبح على حين غرة براقا يرتعش من المرح .

ـ حدث ذلك فى السنة الماضية . وبحدوثه شرعت فى وضع (علمي) هذا ..

وأرتجفت شفتا « ليو » بضحكة فاترة سريعة صفراء . وقال :

ـ ليس منا نحن الرجال من يعود صغيرا .

وبغضب مفاجيء ضرب الارض بمنشفة كانت فى يده بشدة وهو يقول:

ـ أيها العاشق القذر العجوز

فتساءل الصبي :

ـ ماذا هنالك ؟

فارتفع صوت الرجل واضحا وهو يقول :

ــ هــدوء .

ــ مــاذا ؟

ــ من الصعب الايضاح بصورة علمية يابني .

وفى ظني أن التأويل المنطقي لذلك هو أنها هي وأنا قد هربنا من بعضنا مدة طويلة ، حتى عدنا فالتقينا فى الاخير وتلاصقنا .. وافترقنا .

انه فراغ غريب وجميل . فقد كنت أقضي المساء بطوله ممددا على فراشي فى الظلام . وهكذا جاء لي هذا العلم .

كانت نوافذ المقهى قد أحالها الضياء زرقاء باهتة اللون . ودفع الجنديان حساب جعتهما وفتحا الباب ، وربت أحدهما شعره ومسح الطين عن ســاقه قبل ان يخرجا . وانطوى عمال النسيج الثلاثــة على فطورهم يتناولونه . وكانت ساعة « ليو » الجدارية تدق .

ــ انه هكذا .. أنصتالي جيدا .. لقد أطلقت العنان لخيالي عن الحب وحاكمته محاكمة عقلية ، وادركت ما نحن على خطأ فيه . ان الرجال يقعون فى الحب ابتداء .. ومن ترى يحبــون ؟

وكان فم الصبي الساهم مفتوحا ولم يجب .

فقــال الرجــل !

ــ انهم يحبون المرأة . وبدون (علم) أو اي شيء يرشــدهم ، يقومون باخطر واقدس تجربة فى ارض الله . انهم يحبون المرأة ... أليس كذلك يابني ؟

فقــال الصبي اخيرا :

ــ نعــم .

ــ أنهم يبدأون بداية مغلوطة . انهم يبدأون من القمة . الا ترى بؤس ذلك هل تعرف كيف ينبغي أن يحبوا ؟

●

نهض الرجل وقبض بيده على ياقة سترة الصبي الجلدية وهزه

را رقيقـا ، وعيناه الخضراوان تحملقان فى وجهـه بنظرة صارمة لا
طـرف :

ـ يابني •• أتدري كيف ينبغي أن يبدأ الحب ؟

وجلس الصبي منصتـا فى هدوء ، وهز رأسـه ببطء • وانحنى
الرجل متقربا منه ، وقال هامسـا :

ـ بشجرة •• أو صخرة •• أو سـحابة !

وكان المطر لا يزال ينهمر فى الشارع • مطر رقيق أغبر لا نهاية
له • واطلقت صافرة معمل النسيج معلنة نوبة الساعة السادسة •

ودفع عمال النسيج حسابهم • ولم يبق فى المقهى سوى « ليو »
والرجل العجوز وصبي الجرائـد •

وقـال الرجل :

ـ كان الجو فى (بورتلانـد) يماثل جونا هذا عندمـا بدا لي
« العلم » • وقد حلق بي الخيال وشرعت فيه بحذر شديد • فكنت
انتقي شيئا من الشارع وآخذه الى البيت • واشتريت مرة سـمكة
وركزت عليها •• وأحببتها • واخذت اترقى من شيء لآخر • وبرعت فى
ذلك يوما بعد يوم • وفى الطريق من « بورتلاند » الى (سان دييغو) ••

وهنـا صـاح « ليو » :

ـ اقفل فمك •• اقفل فمك •• اقفل فمك •!

وظل الرجل العجوز قابضا على ياقة سـترة الصبي وهو يرتجف
وعلى وجهه سيماء الجد المشوب بالوحشـية •

ـ لقد مرت علي الان سـت سـنوات وأنا أطوف وحيدا أبني
كيان « علمي » هذا • وقد اصبحت الان اسـتاذا فيه يابني • ان فى
وسعي أن احب أي شيء • ولا حاجة لي حتى الى التفكير فى الامر •
فانا ارى شارعا ممتلئا بالناس فيغمرني ضوء جميل • وارقب طائرا فى
السماء ، أو الاقي مسافرا فى الطريق •• كل شيء •• كل شيء يابني ••

وجميع الناس .. كلهم غريبون عني ، ولكنني أحبهم . فهل أدركت ماذا يمكن أن يعنيه « علم » كعلمي هـذا ؟

اعتدل الصبي في مجلسه بشـدة وقد تجمدت يداه على حافـة البار . وتسـاءل أخيرا :

ـ هل استطعت أن تجد تلك السـيدة قط ؟

ـ ماذا .. مـاذا قلت يابني ؟

فقـال الصبي متسـائلا في خوفه :

ـ أعني هل وقعت في حب امرأة أخرى ؟

ترك الرجل دقة الصبي ودار بوجهه الى الناحية الاخرى . وللمرة الاولى بدت في عينيـه الخضراوين نظرة تائهـة موزعة . ورفع كأس الجعة الكبير من البار ، وازدرد ما فيه من جعة صفراء، وكان رأسه يرتج من جانب لاخر ، ثم أجاب أخيرا :

ـ كلا يابني . انك ترى ان هذه هي الخطوة الاخيرة من « علمي » . وانا امشي بحذر .. ولست مستعدا بعد .

وقـال « ليـو » :

ـ حسن . حسن . حسن . حسن .

ووقف الرجل في الممر المفتوح وقد بدا متفائلا ، واهنا في الضوء الرطب في ذلك الصباح الباكر . وبهزة اخيرة من رأسه قال :

ـ تذكر أني احبـك .

وانصفق الباب خلفه في هدوء .

ولم ينطق الصبي بشيء لمدة طويلة . وكان وجهه الفارغ الطويل بائسا . ولكن صوته كان متسـارعا خشـنا .

ـ هل هو مجنون ؟ هل تظن أنه كان مخبولا ؟

وأنخفض صوت الصبي فجـأة :

ـ ليو ؟ ام انه غير ذلك ؟

ولكن (ليو) لم يجبه . لقد ادار ذلك المقهى الليلي اربعة عشر عاما . وكان يعد نفسه بصيرا بالجنون والمجانين . فهناك شخصيات المدينة والذين يطوفون بها ليلا ، وهو يعرف كل مجنون بينهم . ولكنه لم يشأ أن يجيب على أسئلة الصبي الذي كان ينتظر الجواب ، فزم شفتيه وبقى صامتا .

وهنا أرخى الصبي جانب قلنسوته . وعندما أراد أن يغادر المحل . القي بالتعليق الذي كان يبدو له مضمونا . فقال الملحوظة التى لا يمكن أن تذهب طعمة للضحك أو الاستهزاء ، فقال :

ـ لابد أنه قد جاب الافاق كثيرا !

.. ولد مؤلف القصـــة ودرس
الحقوق في مدينـــة - ريغا - في
استونيا . وقـــد نشرت له ثلاث
روايات وعدة مجاميع من القصص
القصيرة تلقتها المحافل الادبيـــة
الاوربية بترحيب كبير . وقد عـدت
قصته هذه احسن قصة صدرت في
عـــامها ...

رجل عادي ...

يجلس امامي رجل عادي تماما ،ذو ذكاء متوسط ووجه لايمكن ان يلحظه احد بصورة خاصة في الشارع او في اي مجتمع . وهذه الوجوه تشكل جزءا من المدينة كالجزء الذي تشكله البنايات الرمادية واكشاك الجرائد ، وصفوف سيارات الاجرة التي تنتظر ، نرى العشرات من امثالها كل يوم ومن المستحيل ان تتذكرها او نصفها

رجل من اصحاب هذه الوجوه يجلس امامي وهو يدخن سيكارة وبابتسامة ساخرة يقول : ها انذا شخص عادي وليس هناك ما اشكو من اعصابي ، ولا اشرب الكثير وليس هناك فيما اذكر اي خلل جسماني او عقلي في عائلتي . وهذا هو السبب في اني استغربت ان اجد نفسي مستفردا في افكار غير مسموح بها قانونيا .

فانا حين اقرأ ما تنشره الجرائد من اوصاف القتول والسرقات . او ماتذكره عن مرتكبي الجرائم الذين يقترفون الجرائم الغريبة ، احاول بلا شعور ان اتخيل كيف يكون امثال هؤلاء المجرمين . وبطبيعة الحال فان اغلب هذه الجرائم حمقاء ووحشية وبلا طائل بصورة تبعث على آلامي ، ولكن ما ان اتخيل نفسي قائما بدور المجرم فاني اقتنع بانه كان في امكاني ان اقوم بكل شيء بصورة اتم كثيرا مما فعلوا .

واول مرة استسلمت فيها للاغراء كانت في مخزن صغير ، فقد ذهبت لشراء قفازين . وكان صاحب المخزن يهوديا وضع متفضلا امامي مجموعة من القفازات ، وكنت مازال افتش بينها عن زوج يفي بغرضي عندما ظهرت امرأة من جانب المدخل وقالت له شيئا فتركني وهو يعتذر بالفاظ قليلة ولا شك انه وضع ثقته بي .

وسرعان ماوجدت ضالتي . وانتظرت عودة البائع ولكنه

لم يعد • فاخذت اشعر بالضيق •

وفجأة ادركت ان هذه هي الفرصة الكاملة لو كنت لصا لكي املأ جيوبي بالقفازات واترك الدكان دون ان يلحظني احد • وداخلني شعور غريب يدغدغ رغبتي سرا لكي استحوذ على شيء لايعود لي • وبحركة لاارادية ، كأني قد اقترفت السرقة فعلا، حاولت ان افكر في شيء آخر ، ولكنني لم استطع ان انقذ نفسي من الشعور الغريب بالقسر •

والتقطت قفازين •

حركة سريعة ويمكن ان تدخلا جيبي كأن شيئا لم يكن كدت اشعر شعور الملامسة بحركة اندفاع يدي لكي افعل ذلك ، وقد ضاعف هذا الشعور حب جارف للاستطلاع كالذي يجعل الطفل يضع حجرا على خط سكة الحديد ، او يشعل النار في هشيم ليرتد الى الوراء وينظر بقلب ينبض بوحشية متسائلا ما الذي سيقع الآن يا ترى ؟

وقفت هناك وانا عاجز عن السيطرة على مشاعرى المهتاجة قرابة عشر ثوان والقفازات في يدي ، وقد بدت لي هذه الثواني وقتا طويلا • واخيرا وضعت القفازين في جيبي •

ما اغرب ان يقر قرار الضغط العصبي عندي ! وداهمني تجذل خفي ورضى • وكان ذلك اشبه بشعور اللذة عندما يركب المرء دراجة بخارية بسرعة تقصف الرقبة ، فاذا حصل اقل اغفال او سوء في الطريق ادى ذلك الى الموت • نعم ان مثل هذه المخاطرة ملذة. ولاعب الورق يعرف مثل هذه اللذة • وكذلك اللص ، والصائد ، والجندي • وربما صاحبها كل واحد في لحظة من لحظات حياته ان الحياة المدنية ، بما فيها من دعة ، قد اثرت فينا كلنا فاطفأت هذه الجدوة فينا • وكانت في الماضي تسوق المرء الى الاعمال المجيدة الى اكتشاف الاراضي المجهولة ، والى القتال والبطولة ، ان هذه

الغريزة قد وجــدت لنفسها طريقا للتعبير ، وبنتيجة ذلك اخذت ذينك القفازين .

واتنقيت قفازين اخرين وبقيت انتظر البائع وقد سلحت نفسي بالفكرة القائلة بان في استطاعتي ان احيل الامر الى نكته واضحوكة اذا ما تيسر له اكتشاف سرقتي . فاعيد اليه القفازين مع بضع كلمات تقريع على غفلتـــــه .

واخيرا عاد البائع ولف القفازين اللذين اخترتهما ، واخذالنقود شاكرا اياي ، وشرع في اعادة القفازات الاخرى الى صناديقها .

وتظاهرت باني اقرأ قوائم المسارح على الجدران وبقيت عامدا في الدكان حتى رفع جميع القفازات ، وكنت اريد ان اتأكد انه لم يشعر قط بما جرى . واخيرا ودعته وخرجت الى الشارع .

وفي البيت نظرت الى القفازين المسروقين نظرة طويلة وانا افكر لقد اصبحت لصا .

وقد اصبحا بالنسبة لي كالصيد التذكاري لدى الصيادين، كجلود بعض الحيوانات النادرة . وكان لبسهما يبعث في نفسي رجفة غريبة واتنظرت طويلا لكي يقرعني ضميري ، ولكن ضميري لم يقلقنـــي قط . ولعل السبب في ذلك ان السرقة كانت تافهة جــــدا ، ومع ذلك فقد بقيت حقيقة لايمكن ان يتطرق اليها النكران سواء اكـان المسروق كبيرا ام صغيرا .. فانا ما ازال لصا .

وبمرور الوقت فقدت الحادثة اهميتها عندي واخذت تضوي في مخيلتي ، ولم اشعر بدافع يدفعني الى السرقة مرة اخرى ، فكان من الواضح اني لست من مجنوني السرقةالذين يصابون بداءالكلبتومانيا

واصابني حنين الى تجربة اقوى .. تجربة تستغرق كل روحى استغراقا . وبصورة لم اكن اتوقعها قط واتتنى تلك الفرصة .

وقد حــدث ذلك كله قرابة الساعة السادسة صباحا عندمـــا

كنت في طريقي الى البيت من حفلة في ضواحي ـ ريغا ـ . وكان على ان اجتاز الجسر الحديد على نهر ـ الدوغافا ـ .

وكانت ليلة شديدة الرطوبة في اوائل الربيع . والهواء مشبعا بحركات اوائل قوى الطبيعة ، وكان ذلك الوقت من السنة حيث من الهواء يؤكد ان الربيع وشيك ، يصبح كل شيء فى تشوش واضطراب ، كما هي الحال في بداية كل شيء في الطبيعة وحيث لايوجد اعجاز وتعقيد في سمفونية الصوت واللون والرائحة .

وشع ضوء القمر الشاحب دون تقطع من خلال الفجوات بين السحب التي مزقتها الرياح .وهناك فى الاسفل حيث نهر (الدوغافا) كان الشبح يتحرك مع تيار الماء وله صريف وصرير . وكانت اكوام الثلج المتتابعة بمختلف الاشكال والحجوم وهي تتصادم وتتشقق ويحطم بعضها بعضا ، تطفو كما تطفو بقايا السفن المحطومة فى النهر متجهة نحو البحر .

وقفت منحنيا على الحاجز وقد غمرتني اللذة وانا انظر الى الثلج فى حركته التي يدفع بها الربيع فى اوائله من نسيان التراث كأني كنت انا نفسى جزءا من مظاهر الطبيعة المحيطة بي .

لست ادري كم مر علي وانا واقف هناك قبل ان تصيبني رعدة صغيرة ادركت منها كم كنت متجمدا . وانتهى طور وحدتي مع الطبيعة ، وعدت كلا منفصلا ذا شعور ، فدرت وانا استعد للماضى فى طريقي .

فى تلك اللحظة لمحت شبحا بشريا اسود على الجسر اخفته احدى العارضات . وكان رجلا . ولم يتحرك اية حركة. وخيل لي لاول وهلة ان عيني قد خدعتاني . وكان جسمه الذي التفه بصورة غريبة قد انحنى نصف انحناءة على الحاجز ورجلاه ما تكادان تمسان

الارض • فذكرني بذبابة اطبق عليها العنكبوت بخيوطه •

توقفت بلا ارادة وبقيت انظر فى اتجاهه • لعله لم يلحظني من قبل • ــ وكــانت بيننا حوالي عشرين خطوة ــ ولكنــه تحرك الآن والتفت نحوي برأســه ونظر الي ولم اكن اريد ان يعرف باني كنت ارقبه لمجرد حب الاستطلاع العقيم ، فتظاهرت باني ابحلق فى غيوم السـماء ، وتثاءبت وشرعت اتمشى ببطء نحوه • ولما اوشكت ان اجتازه خاطبني بصوت اجش :

ــ عفوا •• كنت اتساءل عما اذا كنت •• اردت سؤالك •• هل لديك عود ثقاب ؟ يبدو انه ليس لدي منه شيء •

فاعطيته صندوق الثقاب • ولكنــه ظل يتلمس جيوبه ويقول بضحكــة عصبيــة •

ــ سامحني لاني اقلقتك • ولكن يبدو انه ليس عندي سكاير ايضا • كنت اظن انها فى جيبي ىلكن يظهر اني نسيتها فى البيت •

ــ ارجوك • خــذ سيكارة من ســكايري فاخرج ســيكارة بتردد من العلبة واولع الثقاب وطوق الشــعلة بيديه لكي يحميها من الريح ، فمكنني ضوءها اللاهث ان المح وجهه لحظة واحدة ، وكان وجها مريضا معذبا لشاب توقدت عيناه وعلى وجنتيه وذقنه الذي لم يحلق خشونة الشعر النابت •

واولعت سيكارة انا ايضا • وكان هناك صمت غير مريح • فلم احزم امري ان اقول شيئا او ان اظل ماشيا فى طريقي • واخيرا اعطيته بعض السيكاير وقلت له ان فى وســعه ان يحتفظ بالثقاب • وبضيق واضح شكرني وهو ينفث الدخان من سيكارته كأنه كان على عجل• فقلت له ملاحظا :

ــ هل كنت تقف هنــا منذ مدة طويلة ؟• انني لم اسمعك وانت تأتي •

فعلت وجهه ابتسامة غريبة وهو يقول :

ـ هل كنت هنا من مدة طويلة ؟ نعم . منذ مدة ليست بالقليلة. في الواقع كنت هنا منذ العشية . لقــــد كنت في الجانب الآخر من الجسر عنـــدما وصلت انت .

واخذ ينظر الي بترقب بضع لحظات . ثم اعتدل وكــأنه تغلب على تردد داخلي واخذ يتحدث بسرعـــــة كبيرة وقد بدا كأن تجمعا عظيما من الكلمات قد انطلق فجأة من حنجرته وجــاءت الآن مندلقة بشكل مندفع لم تكن له طاقة بالسيطرة على تدفقه .

ـ في الحقيقة لي رجاء آخر منك. هو رجاء غريب جدا . ولكن ما دمنا قد تصادف ان تلاقينا الليلة فلعل هناك ميزة خاصة بهذا اللقاء

ـ من جانبي على الاقل ـ . وقد ترفض رجــائي بالطبع ولكن من الممكن ايضا ان تكون الشخص الذي يفهمني بعينه .

لقد كنت ارقبك منذ الوقت الذي اخذت تنظر فيه نحو النهر . وقد خطر لي انك قد تكون جئت هنا لنفس السبب الذي جئت انــا من اجله . فانا مضطر ان اضع نهاية لها الآن .. بشكل او بآخر .. يجب ان اغور هنـــاك داخل النهر !

وقد همس بهذه الكلمات الاخيرة في اندفاع مفاجيء ثم توقف وهو يحدجني بنظرة فاحصة حادة ، فسألته :

ـ هل افهم من هذا انك تريد الانتحار ؟

ـ نعم . اني اريد ذلك واحتاج الى معونتك .

ـ ذلك غريب جدا ! كيف يتسنى لي ان ..

فقاطعني قائلا :

ـ سوف اشرح لك ذلك الآن .. انت ترى انه حين يصل المرء الى قرار كهذا فان الامر كله يصبح غاية في البساطة نظريا . فما على الانسان الا ان يخطو خطوات طويلة جازعة ، او يقبع جالسا في المساء

فى احـــدى الزوايا ويظل يفكر ويفكر ، ويزن جميع الظروف وكل ما له وما عليه ، وبالاخير يستقر رأيه على قرار ، فيأخذ معطفه وقبعته ويسرع الى الشـــارع • ولكنه ما يعتم ان يرتـد بصورة غريزية بعد برهة فقد ادرك انه ريع بسبب سـيارة مرقت بصورة غير منتظرة من امامه على بعد خطوات منه ولم يسمع صوت انذار جرسها • ويصبح الرجل غاضبا على نفسه بسبب هذه الرغبة الملحة فى القلق بالحياة ، فيندفع بعيدا ـ نحو النهر ـ حيث لا يزال الجليد يتحرك ، فيسرع الى الحاجز وينظر الى تحت ، ثم يتسلقه ويتشبث بيد واحدة ويترك قدما واحدة تثبت على الارض •• وفى اللحظة التاليـة ينبغي عليه ان يسقط نحو موته •• ولكن شيئا غريبا يحـدث • انه ليس جبانا وهو يعرف انه لا معدى له عن ذلك ، فقد فكر مئـات المرات عندما كان يجلس فى ظلام غرفته • ومع ذلك فما ان يحاول القيام بآخر حركـة حاسمة ، حتى تتـدخل غريزة حب البقاء فجـأة وتشل قوة ارادته ، فترفض ان تفك قبضتها عن الحاجز • انه مأزق مريع • فهو يظل مدة طويلة معلقا بين الموت والحياة تعذبه آلام لا توصفه ولكنه لا يستطيع ان يتحرك الى الامام او الى الوراء • وبالاخير يقترب بعض المتأخرين فى عودتهم الى بيوتهم ، ويرتـاع ذلك الذي يريـد الانتحار ويعود بخزى الى الجسر ، ولانـه لا يريد ان يثير شكوك الريب ، يأخذ فى الصفير مغنيا لحنـا وهو يتمشى فوق وتحت وكـأنه لا يهمه شيء فى الدنيـا •• وينصرف الغريب •

ولكن المنتحر الآن يعييـه ان يرتقى الحـاجز فقـد استنفدت الآلام فكره وجسمه ، وكل ما يفكر فيه هو النوم ، فيذهب الى البيت لينام ويعود فى اليوم التالي لكي يعود من جديد فيستثير قوته وعزمه لانهاء حياته ويندفع نحو النهر ، ولكنه يعود مرة اخرى فتمزقه تلك الغريزة ذات القوة الخارقة ، غريزة الاحتفاظ بالحياة ، تلك النزعة التي

تدفع بكل مخلوق لكي يتعلق بحياته بشكل يائس •

ويقع الشيء نفسه يوما بعد يوم ، وفى الاخير يبلغ به الاعياءحدا لا يستطيع معه ان يدفع بنفسه الى اي عمل ، فلا يعود يرتقى الحاجز، لانه يعلم ان ذلك لن يؤدي به الى غاية ، فيـــذهب كل ليلة ليقضى سهرة بائســـة على الجسر • يروح ويجيء كما يفعل الذي يمشى فى نومـه ، ويقف لكي ينظر الى النهر تحته ليجـد ان قطع الجليد قد تصاغرت وقلت يوما بعـد يوم •

وتنهد تنهدا عميقـا وشرع يتكلم بصوت متعب بطيء كصوت المريض الذي لم يعد يأمل الشفاء •

ـ لعلك لا تزال تجهل ما اريد ان اطلبه منك ؟ لقد ظننت حين رأيتك تنظر الى النهر لهذه المدة الطويلة انك ربمـا كنت تعاني نفس الهول الذي اعانيه ، وانه ربما يسهل علينا معا لو قمناسوية بالعمل •• ولكن •• بطبيعة الحال •• كان ذلك من جراء خيالي المريض •• ان اغلب الناس يريدون الحيـاة • ولن احلم بان اطلب منـك ان ترمي نفسك فى النهر معي ، ولكني احتاج الى جزء يسير ، ذرة واحدة ،من قوة ارادة انسان آخر ـ حركة صغيرة جدا من يد مساعدة •

انظر ، اني اتساق الحاجز هكـذا وتحركت يدي بسرعة وبدون ارادة لكي اتعلق به واطلق ضحكة ذات صوت اجش :

ـ لا تقلق نفسك •• لقد قلت لك آنفا انني لا افعلها • ولكن لعلك تستطيع التغلب على تلك العاطفـة البورجوازيـة المقررة التى تسمى نفسها الرأفة ، وعند ذلك تستطيع آنذاك ان تساعدني • انظر ها انا الآن اجلس على الحاجز ، وادير وجهي نحو النهر ، ولكن يدي لا تقبضـان شيء ، واحتفظ بتوازني بجسمي فقط • فاقل دفعة •• واذهـب الى تحت • اعـدك باني ساظل ثابتا ولن اعقـد مهمتك بمطـالبتها بصورة غريزيـة • انك الآن تستطيع ان تـدفعني بلمسة

بسيطة من يدك ، فكر فى ذلك ، لمسة خفيفـة ، ولا اكثر من ذلك ؛ ولكنك ستقدم لي اعظم خدمة واقسم لك على ذلك . ما عليك الا ان تخلص برهة واحـدة من خزعبلات الاخلاق الحمقـاء التي تسمح للملايين ان يقتلوا فى الحروب ، ولكنها تمنع طبيبا من ان يعطي قطرة سم لمريض لا يرجى شفاؤه على نية تخفيف آلامه.. مثل ذلك لا يسمح به الا للحيوانات . يقتل الحصـان عندما تنكسر سـاقه .. الى الجحيم بكم . اني لا ارضى طائعا مختارا ان استبدل نفسي بحصان .

وفجأة اصبح صوته حادا شـديدا . وبدا مخلصا فى ما قاله . وبطبيعة الحال فقـد كان ممكنـا ان استطلع منـه عن الظروف التي ساقته الى ان يطلب الموت ، وقد كان من الممكن ان يحيط به سـوء فهم او سوء تقدير فى الاساس لا يزال ممكنا تعديله ، ولكن فى لحظة ترك يدي لتلبية طلبه شعرت بنفس الشعور من الاضطراب الذي غمرني عندما سرقت القفازين ، لقـد امتلكتني رغبة ملحـة للقيام بتجربة فريدة وغمرني حب جارف للاستطلاع لمعرفة ردود الفعل من جانبي. ولم تكن لي شفقة بالرجل الذي كان جالسا على الحاجز ينتظر جوابي. وقلت لـه :

ــ حسن . اني متأكد انك قد فكرت مليـا بكل شيء . لذلك فاني سأفعل ما تريد . ولكن كن متهيئـا . فعلي ان اكون سريعـا ــ لا استطيع ان اقول لك الى متى . فاني ما زلت مستعدا لمساعدتك.

والتفت الى جانبي ببطء . وشعرت للحظـة وجيزة ، بانه يبدو لي اني رأيت العجب والفزع فى وجهـه . فلعل كلامـه المنمق كله كان مبنيا على اساس التظاهر . تلك الرغبـة فى ان يكون له معجبون ، وهي رغبة تجتاح الناس حتى فى اشد الظروف حراجة .. ولعله كان لا يزال يؤمل ان ارفض طلبـه ، ولعله كان يظن سرا ان سأغرقـه بالاسئلة . واقدم له مساعدة ، واعطيه مالا . ولكن كرامته ــ ذلك

الشعور الذي قد يكون فى بعض الاحيان اقوى من اليـــأس — لم تسمح له بان ينسحب عما قاله ، فظل جالسا كمـــا كان من قبل ، واشاح بوجهه علي واطلق يده عن الحـاجز •

دفعت ظهره براحة يدي • وبقيت لحظة وانا اظن اني لم استعمل ما يكفي من القوة ، وانحنى هو • ولعله كان يحاول ان يستعيد مسك القضبان ، ولكن هذه الحركة تأخرت ثانية واحـدة فقط عما ينبغي • فاطلق صيحة مبحوحة ومال جسمه الى الامام بصورة يائسة • وعندما نظرت الى تحت نحو النهر كـــان الجليد لا يزال فى حركته القلقة ، وقطعات الثلج المتجمدة لا تزال تنزلق مع تيار الماء الى اقصى ما يدركه البصر •

وفجأة ادركت باني قد اقترفت جريمة ، ونظرت حوالي خشية ان يكون هناك عن طريق الصدفة اى شاهد قرب المكـــان • لقد كانت صرخات الشاب البائس خافتة جدا ولكن كـــان من المحتمل كثيرا ان يسمعها بعضهم على الساحل • وكان لي برهة ارتياع كمـا لو كنت قاتلا حقيقيا ، ولكن مخـاوفى لم يكن لها اساس — لم يحاول احد ان يوقفني عندما استدرت للذهاب ، ولم اقابل احدا عندما ذهبت •

ظل زائري ســـاكنا ، وقد تركزت عينـاه على شيء لم يكن باستطاعة احد ان يراه • لقـد كان يحلق فى اللا شيء •• ثم اشعل سيكارة اخرى ، واتخذ وجهه تعبـيره السابق من السـخر الخافت المجرد ، فسألته بعد بضع لحظات :

— هل استطعت ان تكتشف من كان هذا الشاب ؟

— نعم • لقد استطعت ان اكتشفه • لقد بقيت اقرأ كل الصحف بامعان عدة اسابيع وقرأت ما كتبتـه عن حوادث الانتحار والغرقى • لقد مر زمن طويل الى ان ظهرت جثتـــه فى موضع ما على الساحل وشخصته السلطات • كان هذا الشاب طالبا ، ولكنه اصبح مدمنا على

المخدرات ولا يمكن شفاؤه ، وسقط على الفكرة المبتكرة باستحصال المال من الناس عن طريق التظـاهر بانه مقبل على الانتحـار يائسا • لقد قضى القدر بان يكون مرور هذا الشاب من طريقي عنـدما كنت امر من تجربة جذرية • لعل رغبته فى انهـاء حياته لم تكن غير حقيقيه كلها ، ولكنه فى كل مرة يريد انهاءها يتمكن من الحصول على بعض المال فيغير فكره ويشتري المزيد من المخدرات ، وبذلك ظل يدور فى حلقة مفرغة • ولعلي اضيف الى ذلك انني لا اشعر قط بوخز الضمير بالرغم من اني ، بحكم حرفية القانون ، لص وقاتل •

وعاد الى صمته العميق ، وبدأ مرة اخرى انسانا عاديا تماما •

.. هذه القصة تمثل الاتجاه
نحو ـ العقدة ـ بطريقة ذكية .
وبالرغم من ان هذه المجموعة تتجه
نحو التركيز الادبي والاداء العميق
للقصة ، فقد تركنا لها هذه
القطعة لكي لا تخلو من ذلك النوع
الذي يألفه ـ بل يفضله ـ كثير
من القراء من نوع قصص
ـ العقدة ـ ..

وقد اخترت هذه القصة من بين
قصص عامها لتكون مثلا على القصة
ذات العقدة الذكية وهي للكاتب
الانكليزي المعروف فليب غراهام ..

اين القرط ؟

يتحدث الفنان بضمير المتكلم وبذلك تخفي شخصيته عن القارىء، فيذكر ان صديقه (بوب لفروج) كان لديه قرط واحـــد يزعم انه يعود لآل مديشي وهو يعتز به كثيرا ولا يني يخرجه لضيوفه بمناسبة وبغير مناسبة ، ويذكر عنه قصة طريفة تضفي عليه خيطا من المسرحية، وهو انه صيغ للامير (بيترو) الثاني ابن لورنز الكبير الذي كان قد توفى منذ سنتين فقط ، وكان ابنه هذا في الثالثة والعشرين من عمره، شابا لامعا ولكنه غير مستقر ، وقد صاغ له هذا القرط صائغ شـــهير من فلورنسا لصديقته المفضلة « جيوفانا فارتزا » وكان قد جاء بـــه اليها لكي يلبسها اياه بيده ، ولكنه ما ان دخل غرفتها حتى جـــاءته الاخبار المثيرة بان الفرنسيين بقيادة شارل الثاني قـــد دخلوا ايطاليــا وتقدموا نحو (بيزا) بجيش كـبـير من ٤٠٫٠٠٠ جنـــدي مدربين • وكانت فلورنسا مرتبطة بمعاهدة تقضي برد الاعتـــداء ، فسارع بيترو فورا الى حيث يجب ان يكون والقرط في يده بعـــد ان وضع الآخر في اذنهـــــــا •

ولم يلتقيا بعد ذلك • فقد احيط بيترو وهرب • وفاوض اعداءه مفاوضة مخزية ، فلما عاد الى فلورنسا قوبل بمقت شديد ونحي عن الحكم وانتهى بذلك عهد (مديتشي) فيها • وظل بيترو بعد ذلك في محاولات لاسترداد ملكه انتهت بالاخير الى ان يموت غرقا ودفن في « مونت كـــاسينو » •

وهذا القرط المنفرد هو الذي كان لـــدى (جيوفانا فارتزا) •• وقد ظل وحيدا لان الثاني لم يعرف احد عنه شيئا •

تقول الفنان راوي القصة :

كنت رساما اعيش عيش الكفاف من فني الذي اعتز به • وكنت احب « لوسيل » ابنــة « بوب لفروج » وهي تحبني ايضا ، ولكني عنــدما ادركت بانها اخــذت تميل الى « بيتر ستيفنسون » شعرت بالراحة ايضا • فقــــد كنت اتخوفه من فكرة الزواج وانا على حالي تلك لا اكاد اكسب ما فوق القوت البسيط • وبوب يعيش عيش المرفه لانه يعمل فى النقل البحري ويعيش فى هامبستيد ، ويسوق سيارة من نوع (جاكوار ١٠) كما اني كنت اميل الى بيتر واحبــه ولعل ذلك كان لفقره هو الآخر • ولكنه كان يفضلني من حيث انه معلم متوسط وله مستقبل افضل فقد كان فى الثالثـــة والعشرين من عمره وانا فى الثلاثين •

وقد اعلنت خطوبتهما ومر على ذلك ثلاثة اشهر عنــدما طلبني بوب فى التلفون ودعاني الى سهرة نقضيها فى داره تلك الليلة •

كنت قد استأجرت مرسما من زميل لي يشكو ما اشكو منه من فاقة ، وقد ذهب الى باريس يجرب حظه ، وقــد بعت بعض رسومي الى ــ قاعة كراتنام ــ وكنت اشعر بالغبظ والنظر الى المستقبل بعين مفتوحـــة • فانتزعت نفسى انتزاعا من المرســم ولبست خير ثيابي وانا اتوقع سهرة حسنة مع بوب ولوسيل وبيتر حيث الطعام الجيد والنبيذ الفاخر ، وربما لعبة « بريدج » ايضا • ولكني عندما وصلت فوجئت بان عددنا سيكون ثمانية • فقد كـــان آل « ميهيو » و «زنيش» فى الطريق • وعلينا فى هذه الحالة ان تكون لعبتنا مضاعفة ممـــا يجعلها تثير العصبية • وبعد الانتظار جاء هؤلاء ناقصا عــــددهم فلم يكمل نصاب لعبة البريدج المضاعفة ولكن الكابتن فرنش اقترح ان نلعب البوكر بدلا منهـــا •

وكنت قد شعرت بالكره لهذا الرجل اول ما لقيته • فهو يحمل

معه طابع العنجهية والزهو . ولم يكد يعتذر عن تأخره ولا عن نقص العدد المطلوب للعب بسببه . واخذ يتزلف للوسيل بشكل مفضوح وجلس بقربها . وشعرت بالضيق منه . وكذلك بيتر الذي احتقن وجهه واصبح كالكف الذي ادخل في قفاز ضيق .

ولعبنا البوكر وكان بيتر مثلي لا يحسن اللعب ، او لعله لم يحسنه تلك الليلة . ومضى اللعب اشبه بحرب بين الاثنين كان بيتر فيها الخاسر باستمرار لان « فرنيش » كان هادئا يعرف كيف يغنم ، وقد بدا صناعا في اللعب من طول ما لعب في الظاهر .

وانتهى اللعب فكان بوب لا له ولا عليه ، وربحت لوسيل كثيرا فقد واتاها الحظ . اما عائلة ـ ميهيو ـ فقد خسرت قليلا . وخسرت انا اثنى عشر جنيها .. وبيتر ثلاثين ، اعلن بعدها انه لم يبق لديه ما يلعب به ، وبالرغم من ان فرنيش عرض عليه ان يقرضه خمسة جنيهات رفضها فتوقف اللعب .

شعرت بالغيظ من فرنيش وبوب معا . فان الاخير يعرف قبل غيره ان خسارتنا نحن الاثنين فوق ما نستطيع تحمله . واثنا عشر جنيها بالنسبة لي تفوق مائة جنيه بالنسبة له .. وقد يؤول ذلك الى ان اتخلف عن دفع مبلغ ايجار المرسم لصديقي الذي يعيش عليه عيش الكفاف في باريس . وتلك فكرة تضايقني كثيرا . وكذلك بيتر فان ثلاثين جنيها تعني له ثروة صغيرة . وقد اراد بوب بعد ذلك ان يتدبر الامر بحنكته المعهودة ، ولعله كان مستعدا ان يفعل شيئا بالنسبة لبيتر ، وكذلك لوسيل ولكن الامر كان متأخرا فان بيتر بلغ من القرف الى حد انه بدا عليه الامتعاض منها اكثر من امتعاضه من فرنيش وذلك امر يعرفه كل المحبين وقد بلغ بيتر منتهاه .

وهنا سألت السيدة ميهيو عن القرط !

وسار الحديث في هذا الاتجاه ، بعد ان اشار بوب الى القرط

فى وقت العشاء ، وعادت سيرته من جديد.

وقام بوب الى خزانته واخرج القرط المعهود وسرد قصته التي كنت اسمعها للمرة الرابعة . وتساءل بعضنا عن قيمته المادية . ثمنته نورا ميهيو بمبلغ خمسمائة جنيه . وكانت خبيرة بالعاديات .

وهنـــا نودي على بوب ليجيب فى التلفون ، فـذهب واخـذ الحق الصغير ليعيده الى الخزانة . واذا به يلتفت الينا ويقول متسائلا

ــ ترى ماذا صنعت انا بالقرط ؟

ــ لقد اعدته الى الحق .

ــ كلا انه ليس فيه .

وهنا نشأت المشكلـــة .

ذاب القرط فى المجهول . فقد امضينا وقتــا طويلا فى التفتيش عنه فى كل مكان يحتمل ان يكون فيه . وانتهى الامر بنا الى القنوط.

اين ذهب القرط .. اين يمكن ان يكون ؟

ألمت هذه الاسئلة تحوم فوق رؤوسنا طيلة الجلســة . وخيل لبوب اول الامر ان هناك ــ نكتة ــمن احـــد ولكن الوجوم على الوجوه ابعد هـذا الاحتمال . وكـان الوقت يمر سريعا ، فخرقت نورا جدار الصمت بقولها :

ــ بوب .. لقد آن لنا ان نذهب . ان طريقنا طويل كما تعلم وعلينا ان نجتازه بالسيارة سياقة لمدة ساعة كاملة اني اعلم ماذا يجب علي فعلـه .

وبدأت بان تفضت جيوبها على المنضـــدة بين احتجاج بوب وتمنعه ، وبعد جدال طويل كـــان فيه بيتر طرفـا لوحده قمنا كلنا بافراغ ما فى جيوبنا على المنضـــدة ، ولم يكن ــ بالطبع ــ بينها اي اثر للقرط . الا بيتر ..

فقد ظل مصرا على الرفض . وقال انه اما ان يصدق او يكذب

فى انه لم يسرق القرط ..

وحاول بوب ان يكون لبقا وان يتفادى الحرج ، ولكن فرنيش اصر ، وهنا احتقن وجه بوب وقال اخيرا :

ــ حسن جدا . اذا اردت ان تعلم لماذا لم افرغ جيوبي فذلك لان لدي قرطا آخر مماثلا لقرطك هذا قد جئت به لاقارنه بقرطك الذي اختفى .

وهنا بدت القضية واهنة من جانب بيتر ولم يشفع له احتجاجه بانه وجد القرط لتوه فى ميراث عمته ، او انه كان لديه قبل ذلك ، وعندما اخرج القرط تناوله بوب لحظة ثم حاول ان يعيد قصة النكتة فرفض بيتر الفكرة واصر على موقفه .

وحدث امر مؤسف .

فقد طرد بوب بيتر من الدار .. فخرج وهو يلعن الجميع .

وجاءتني لوسيل الى المرسم .

وتجدد حبي لها . وكانت فى احسن زينتها ، ولكني كبحت جماح عاطفتي ، واخذنا فى الحوار فيما بيننا عن موضوع بيتر وحاولنا ان نخرج من تحليل الواقعة بشيء معقول ، واصرت لوسيل على ان بيتر ليس من ذلك النوع السارق من الرجال . فبالرغم من ان المبلغ الذي خسره كان جسيما بالنسبة له ، ولكنه لا يوقع مثله فى مثل هذا المأزق الخلقي . واستقر الرأي بيننا ان اذهب اليه لاحدثه فى ذلك .

وذهبت اليه فى مدرسته ، وقابلني بخشونة اول الامر ، ولكننا عندما تطاول بنا الحديث ونحن فى السيارة ، وبخاصة عندما اخبرته ان لوسيل لا تريد ان تصدق انه كذاب وسارق اخذ موقفه المتأزم يخف رويدا رويدا . واخذ يحدثني كيف انه وجد القرط فى مخلفات عمته التي توفيت حديثا ، وكان هو وارثها الوحيد .. ولما تطرقت الى احتمال ان يعود الى لوسيل تجهم وجهه وقال : لقد طردت من البيت

كما يطرد اى سارق صغير • اليس من الواجب عليهم ان يفكروا فى الامر من ناحيتهم •

وتركني فى اول محطـة باص •

وبعـد ذلك باسبوعين ، كنت فى المرسم اعمل جاهدا لاكمال احدى الصور وكنت منسجما فى عملي عندما ارسـل لي بوب لفروج بطاقة يطلب مني فيها ان اراه بدون تأخير •

ولما ذهبت اليه رأيته فى خير حالاته • فقد جاءته فى ذلك الصباح رسالة فى البريد مطبوعة بالآلة الطابعة وغير متوقعة :

« لم يكن قصد السارق ان يتهم بسرقته سواه • ففي طي هذه الرسالة وصل رهان لهذه القطعة الاثرية • فاذا اخـذتها الى العنوان الموجود فيها ، ففي وسعك ان تسترد قرطك بعد دفع مبلغ ٢٥ جنيها• وفى المستقبل عندما يعرض عليك الناس ما فى جيوبهم اطلب منهم ان ينزعوا احذيتهم ايضا » •

وذهبت مع بوب الى دكان الرهائن فى دلوج وكان القرط هناك• فدفع بوب المبلغ صاغرا وكان صاحب الدكان يتمنى لو انه لم يدفعه •

واغرب ما فى الامر ان القرط عندما عورض مع اخيه الآخر ، بدت فيه بعض الاختلافات الدقيقـة فى صياغة الفضة • ولعلـه قرط آخر صنعه صانعه مع قصته الدراماتيكية وباعه لمشتر آخر •

وسألنا صاحب الدكان عمن اتى به اليه ، فقال انه فتى فى الثامنة عشر يبدو عليه انه رسول او فراش •

واتضحت الحقيقة الصارخـة •• فقـد ظهر ان بيتر لم يسرق القرط ، وان كل حرف فاه به كان صحيحا ، وقمت باكمـال الوساطة ــ كأني احد ضباط الامم المتحدة ــ وقدم بوب اعتذاراته كلها لبيتر• ولبست لوسيل القرطين فى حفلة زفافها •

عادت افكارنا الى الليلة التي حـدثت فيها الواقعة • واخـذنا

نستذكر التفاصيل بدقة وندبر الرأي فيمن يكون قد سرق القرط •

نورا ميهيو كانت فى وقت من الاوقات تعمل فى بيع العاديات وقد علم بوب بطريقته الخاصة انها غرمت مرة لمحاولتها تهريب لؤلؤة كبيرة الى ايطاليا من دون جواز • وقد تكون هي السارقة ولكن ذلك مستبعد ، لانها هي التي قيمتها واقامت الدنيا حولها •

الكابتن فرنيش له علاقة بها منذ ان كانت صديقة امه فى سويسرا • فلا غبار على ذلك اذا فرضنا التواطوء • كما انه لا يفيدنا شيئا اذا علمنا ان فرنيش نفسه كان مثقلا بالديون ، فكل الضباط من شاكلته على ذلك النمط •

وفى الاخير اقلعنا عن التفكير فى الموضوع •

وكان اشد اسئلة بوب الحاحا هو : لماذا رهنها السارق بهذا المبلغ القليل فى الوقت الذي كان يعرف فيه انها تساوي اضعاف هذا المبلغ ؟

ولم يطرأ على فكره انه ربما كان هدف السارق من ذلك انه كان فى حاجة سريعة الى مال قليل فرهنها عليه لوقت محدود ، بنية ان يتيسر عليه استعادتها فى يسر وسهولة •

وكنت افكر طويلا ماذا لو طرأ هذا الخاطر على بوب !

وعلى كل حال فان صديقي فى باريس لم يضطر الى الانتظار طويلا لتسلم ايجار المرسم •

والآن ايها القاريء :

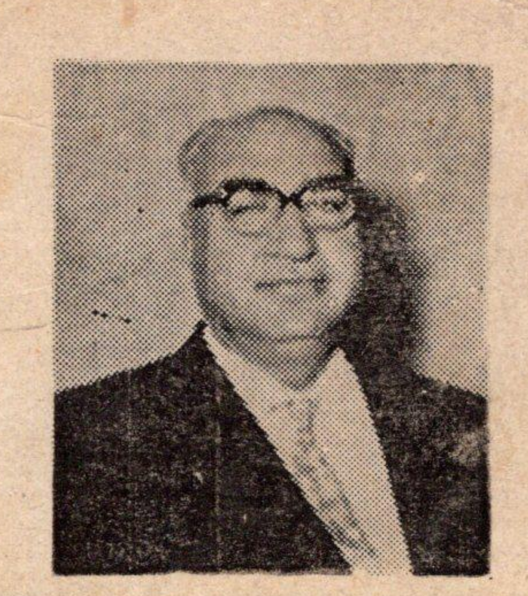
هل عرفت السارق ؟

انتهى طبع هذا الكتـاب في ١٥ تشرين الاول ١٩٧٠

- ولد المؤلف فى اوائل سني الحرب الاولى.

- شارك في الحياة الادبية مبكرا وله عدة تآليف ومترجمات .

- من كتبه المقبلة رواية بالعربية واخرى بالانكليزية.



من المقدمة

« قد يعزى الجهل بطبيعة الادب والفن ، وبموقع القصة بالذات ، بالوقوع فى احبولة ذلك القول القائل بان هناك جوابا واحدا لكل ذلك ، هو الجواب الذى يقطع الجدل بان الادب والفن بصورة عامة ، والقصة بصورة خاصة ، لم تعد تلائم روح العصر المنجرف نحو العلم ، وان الامعان فى مجافاة روح العلم، غباء يرضى الانسان به جهله وغروره ، وقد يوقعه فى التخلف مع سبق الاصرار .

« ان الذين يشكون فى - فائدة - الادب والفن يعلنون مقدما انهم ليسوا هنا او هناك .. ولو كانوا على حظ صحيح من الادراك لكان يكفي ان يعنيهم ان يكون الادب والفن فى مستوى معين يترقى نحو الاعلى ، لا ان يدوروا في دوامة التساؤل عن قيمته وجدواه .

« ولست اتوقع تسديدا بمقدار ما اتوقع التهديد . وقد سبق لي مثل ذلك في الماضي ، فلن يخيفني اليوم ذلك التهديد ان انى بعد ان دلت الدلائل على اني لم اكن مخطئا ، وان الذين غضبوا لم يكونوا محقين » .

مطبعة الشعب - بغداد